النشاط الحيوي للفرد والجماعة في الإسلام

د. توفيق يوسف الواعي

كنت أتمنى من زمن أن أكتب عن الفرد المسلم وعلاقته بالقيادة وعلاقتها به، لأنني كنت دائما أحس أن الفرد في الإسلام ليس فردا عاديا، وإنما هو فرد من نوع خاص، يكلفه إسلامه بما يكلف به القيادة، من دعوة إلى الله، ومن أمر بمعروف ونهي عن المنكر، ومن جهاد، ومن إحقاق للحق الخ.

كنت أحس أن الفرد مسئول عن الجماعة ككل، وأن رأيه قد يلزم الجماعة في كثير من الأمور، وتحترمه الجماعة وتنقاد له، دلالة على أنه بلغ من الفهم والوعي مبلغا لا يخطيء في حق دينه إذا قال رأيا، أو في حق أمته إذا اتخذ قرارا، وكنت أقرأ قول الرسول ﷺ «ذمة المسلمين واحدة، يسعى بذمتهم أدناهم»[1] حتى قال الشافعي رضي الله عنه: فيه دليل على صحة أمان العبد، وقال: يروى ذلك عن عمر، وعلي وابن عمر. وبه قال أحمد وإسحاق.

وكنت أحس أن الفرد المسلم بل حتى المرأة المسلمة لها كيانها السامي في المجتمع، وأقرأ قول الرسول ﷺ لأم هانيء حيث قد أجارت رجلا من المشركين وأراد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قتله، فمنعته من ذلك، وجعلت الرسول حكما بينها وبين علي، فقالت: «يارسول الله، زعم ابن أمي علي بن أبي طالب: أنه قاتل رجلا أجرته، فلاناً بن هبيرة»! فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء»[2].

---

(١) أخرجه مسلم في العتق ٢٠/١٣٧٠، وأخرجه أحمد، وأبو داود، وابن ماجة. انظر شرح السنة للبغوي ١١/٩٠.

(٢) متفق على صحته: البخاري ٦/١٩٥ في الجهاد، ومسلم ١/٤٩٨ (٣٣٦).

كنت أحس دائما أن الإسلام يربي الفرد القائد والرجل المسؤول الراعي، وأحس قول الرسول ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيتها والخادم في مال سيده راع، وهو مسؤول عن رعيته. فكلكم راع ومسؤول عن رعيته»[1] وكنت أحس أن الرسول ﷺ يستشير الفرد ويسمع له، ويحترم رأيه وشعوره، ويبعث فيه الشجاعة والجرأة، ولو في مواجهة الدنيا كما رأينا في حديثه لابن عباس «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك؛ ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لا يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[2]. وقوله ﷺ «لا يكن أحدكم إمعة، يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساؤا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤا أن تجتنبوا إساءتهم»[3] كنت أحس أن الفرد في الإسلام هو الفرد الناجح في الحياة فكرا وعملا وسلوكا ورأيا، وأن الجماعة المسلمة التي تربي هذا الفرد هي الجماعة الناجحة، وهي المجتمع الناجح، وأنه لابد لكل واحد منهما من مواصفات خاصة يجب إبرازها واستنباطها من تعاليم القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح.

وأن الدعوة الإسلامية لا تقوم بأفراد فاشلين، ولا بجماعة أو مجتمع فاشل، وأن الأمم لا تسير إلا بالرواد والعمالقة في كل شيء، وأن الإسلام هو دائما الذي كان يصنع هذا الصنف ويربيه، ومازال هو هو.
فما هو الخلل وأين الحل؟

ولكني رغم علمي بصعوبة البحث وخصوصا إذا أفردت له صفحات معدودات لا يزيد عنها، ورغم علمي بأنه قد يظن ظان أنني أقصد لوم سلطة أو تشجيع رأي، أو لوم آخر؛ والظنون اليوم فنون، رغم ذلك أقدمت على خوض هذه التجربة المتواضعة التي أرجو أن تكون نواة لمؤلف أوفى وأشمل إن شاء الله تعالى.

---

(١) متفق على صحته: البخاري ١٣/١٠٠، ومسلم ١٨٢٩ في الإمارة.
(٢) رواه الترمذي رقم ٢٥١٨، حديث حسن، ورواه أحمد ١١/٦٨.
(٣) أخرجه الترمذي رقم ٢٠٠٨.

المبحث الأول
المسلم والعلاقات الاجتماعية

مهمة المسلم كما حددها الإسلام

إن مهمة المسلم في الحياة بقدر ما هي سامية غالية كريمة عظيمة، تحتاج إلى جهد وعمل وإخلاص وتجرد. وبقدر ما هي مضيئة ونقية وطاهرة تحتاج إلى رجولة وعزيمة وعقل، وتتلخص هذه المهمة في أمور ثلاثة:

١ ـ معرفة وخضوع وعبادة لله وخشوع:

« قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى »(١).

« قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ »(٢).

« قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ »(٣).

٢ ـ فعل للخير وسير بالإصلاح وعمل بالمعروف.

« وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ »(٤).

« إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ. »(٥).

« وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ »(٦).

٣ ـ جهاد في الله وحمل للأمانة والهداية والنور.

« وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ »(٧).

---

(١) الزمر ـ ١٤.
(٢) الزمر ـ ١٧.
(٣) الرعد ـ ٣٦.
(٤) محمد ـ ٢.
(٥) البينة ـ ٧.
(٦) طه ـ ٨٢.
(٧) الأنفال ـ ٧٤.

« ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ »[1].

كل ذلك مفصل في كتاب الله تبارك وتعالى، ومبين في سنة رسول الله ﷺ تجمعه آية واحدة من كتاب الله في قوله تعالى « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ». الحج -

وسائل لتحقيق مهمة المسلم

كل مهمة من هذه المهمات لها وسائل توصل إليها، وتدفع إلى تحقيقها، يرجع إليها في آي القرآن، وفي سنة رسول الله ﷺ، وفي سيرة السلف الصالح رضوان الله عليهم، فكل ذلك قد وضح الطريق، وبصر بالغاية، وهدى إلى الصراط المستقيم.

فرسالة الإسلام قد وضحت وبينت مهمة المسلم وغايته وأخذت بيده ودربته وربته وأقدرته ـ إن تمثل بها وفقهها ـ على القيام بمهمته والسير نحو غايته وحمل أمانته.

علمته كيف يربي نفسه ويهذب خلقه ويعدل سلوكه، حتى يكون مثالا لمنهجه وأنموذجا لرسالته وتجسيدا لتعاليمه.

علمته الخير وطبعته على المعروف حسب مقاييس ربانية صحيحة، لا حسب أهواء وشهوات قاصرة، ولا حسب عادات وتقاليد بالية.

علمته كيف يجاهد في سبيل الله ويدافع لتكون كلمة الله هي العليا. ويدعو النفوس الشاردة والقلوب الغلف.

علمته كيف يفتح العيون العمي، ويسمع الآذان الصم، ويوقد العزائم الغفل، ويضيء البصائر الكليلة.

فكانت بحق باعثة للموات، ومنشئة من العدم، ومضيئة من ظلمة وديجور.

المسلم والمجتمع:

لا شك أن بناء الفرد المسلم هام وضروري لبناء أمة مسلمة قوية وعزيزة، فهو اللبنة الأولى والأساس المكين، وخراب الفرد المسلم وضياع الشخصية المسلمة أو فقدان توازنها الفكري والروحي والنفسي سبب جوهري وأساسي في ضعف الأمة الإسلامية اليوم.

---

(١) التوبة ـ آية ٤١.

فالفرد المسلم اليوم عاجز عن القيام ببناء ذاته والنهوض بمستواه واكتساب احترام الناس وتقديرهم ـ الا من عصم ربك ـ فضلا عن أن يكون مثلا حيا لهم وقدوة كريمة أمامهم. فنشأ لذلك حاجز صلد قوي بينه وبين الناس، بين قلوبهم وعقولهم، منعهم من سماعه أو الالتفات إليه، لأن الجماعة البشرية دائما أبدا تنقاد ولو بعد عناء إلى الحق وإلى رجاله، يصادف الحق دائما أشواق الفطرة، وإن استعصى عليها بعض أصحاب الأمراض النفسية والاجتماعية الذين يطمعون فيما لا يوجد عند الداعية المسلم، وإن وجد فلا يكون هذا هو الدافع الحقيقي لقبول الحق وحمل تبعاته.

الإنسان اجتماعي بفطرته:

قال العلماء: الإنسان اجتماعي بطبعه، فأنى وجد الإنسان فإنه يعيش في جمع منظم من بني جنسه، فلم يعثر علماء الإنسان في بحثهم على رجل عاش وحده بلا مجتمع، ولذلك يعد عزل الإنسان عن المجتمع من أكبر العقوبات التي ينزلها المجتمع على الفرد، فالحبس والسجن ليس في حقيقتهما إلا عقابا يقوم على عزل المعاقب عن المجتمع.

المجتمع أساس لإنسانية الإنسان:

يرى علماء الإنسان أن معيشة الإنسان في جمع من بني جنسه ـ بعد ولادته ـ شرط أساسي لتنشئته النشأة البشرية، فلقد لاحظ علماء الاجتماع والدراسات البشرية أن ثمة أطفالا تركهم ذووهم وهم في أحراش أستراليا والهند التي يقطنها بعض الأقوام البدائية، فنشأ هؤلاء الأطفال بعيدا عن أي وسط إنساني، إذ كانت تتعهدهم بعض الحيوانات بعاطفتها الطبيعية الولادية، وكانت تقوم بإطعامهم، وهؤلاء الأطفال هم الذين يطلق عليهم العلماء اسم الطفل الجن أو الأطفال الذئاب.

فنشأوا مزودين بعادات تجعلهم أقرب إلى الحيوانات منهم للإنسان، فلا لغة لهم، إذ هم يصدرون أصواتا تشبه الطيور والحيوانات المحيطة بهم، ولا يعرفون المشي بل يزحفون على أربع وعلى بطونهم أحيانا، ومستوى ذكائهم يكون منحطا جدا، فذكاؤهم أقرب إلى ذكاء الحيوانات العجماوات منه إلى ذكاء الآدميين.[1]

---

(١) أسس علم الاجتماع ـ د. حسن شحاتة ص٤٤.

ولعل هذا قد ينظر إليه في ضوء حديث رسول الله ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، كما تنتجون البهيمة منها من جدعاء حتى تكون أنتم تجدعونها» **متفق على صحته**. فالإنسان ابن بيئته ومجتمعه الذي يخالطه، يؤثر ويتأثر.

قال ابن القيم: ليس المراد بقوله «يولد على الفطرة» أنه خرج من بطن أمه يعلم الدين، لأن الله تعالى يقول «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا»، ولكن المراد أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار والمحبة، أي إذا عرضت عليه وعلمها.[1]

وعلى هذا فمخالطة الناس لها دخل كبير في تكوين الشخصية ـ كما سنشير فيما بعد ـ إلى الخير أو إلى الشر، وإلى سعة الأفق وعمق التجربة، أو إلى السطحية والضحالة.

أنواع المخالطة البشرية:

والمخالطات البشرية تكون فكرية وتكون جسدية، وتكون جسدية فكرية:

أ ـ المخالطة الفكرية: تكون بتلاقح الأفكار والقراءة والإقناع بالحجة للهداة عن بعد. وقد ربي القرآن الكريم الأمة المسلمة على هذه المخالطة الفكرية في قصص القرآن، وفي تاريخ الأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، ونبهنا إلى ذلك فقال سبحانه « لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »[2]. « وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ »[3] « فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ »[4]

---

(١) شرح السنة للإمام البغوي ص ١٦١. جـ١، وأخرجه البخاري ١١/٤٢٢ في القدر. وفي مسلم ٢٦٥٨ في القدر.

(٢) يوسف ـ ١١١.

(٣) هود ـ ١٢٠.

(٤) الأعراف ـ ١٧٦.

« أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ »[1]. ولهذا كان المسلم عميق التجربة عميق الجذور كثير الخير.

ب ـ المخالطة الجسدية: وهي مخالطة العادات والتقاليد والأعراف وقد تكون هذه المخالطة في غالب أمرها انقيادية غريزية بغير بصيرة ولا تفكر: كقول المشركين فيما جاء في القرآن الكريم «وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ».[2]

ولهذا طالبهم القرآن بالتفكر والتدبر والوعي فقال: « ۞ قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ».[3]

وطالبهم ووعظهم بالتفكر وفتح البصيرة فقال «قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا »[4].

وهذه المخالطات يطوع الفكر فيها للعادات والتقاليد، وهذا هو الخطأ.

جـ ـ المخالطة الجسدية الفكرية (المعايشة): وهي أقوى المخالطات تأثيرا في النفوس الإنسانية، فمن خالط الرسل وأخذ عنهم وعايشهم أفضل كثيرا وأشد تأثيرا ممن أخذ عنهم فقط، ولهذا كانت الصحابة أفضل المؤمنين وأعظمهم، وكان السابقون منهم أشد فضلا وأعظم أثرا، لقوله تعالى «لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ».[5]

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن أفضلية الصحبة للرسول ﷺ لا يعدلها عمل، لمشاهدة رسول الله ﷺ. وأما من اتفق له الذبُّ عنه، والسبق إليه بالهجرة أو

---

(١) الأنعام ـ ٩٠.
(٢) الزخرف ـ ٢٣.
(٣) الزخرف ـ ٢٣ ـ ٢٤.
(٤) سبأ ـ ٤٦.
(٥) الحديد ـ ١٠.

النصرة، وضبط الشرع المتلقى عنه، وتبليغه لمن بعده، فإنه لا يعد له أحد ممن جاء بعده، لأنه ما من خصلة من الخصال المذكورة إلا وللذي سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده، فظهر فضلهم[1].

وقد جاءت الآثار والأحاديث بالتأكيد على فضلهم ـ رضوان الله عليهم ـ لصحبتهم، من ذلك قول الرسول ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»

ولقول الرسول ﷺ: يأتي على الناس زمان فيغزوا فئام «جماعة» من الناس فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ـ ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان فيغزوا فئام من الناس فيقول: فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزوا فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم[2].

فتأثير صحبة رسول الله ﷺ امتد ثلاثة قرون، وكان بركة على المسلمين ونصرا لهم ولهذا قال ﷺ: «لا تزالون بخير مادام فيكم من رآني وصاحبني، والله لا تزالون بخير مادام فيكم من رأى من رآني وصاحبني»[3].

وعلى هذا فمن خالط الصالحين وأخذ عنهم أفضل ممن أخذ عنهم ولم يخالطهم، فإن القدوة والمثل الحي نه في النفس ما له من أثر يظل يعيش معه منقوشا في الذاكرة، كأنه الواقع المعاش والعطاء الموصول، هذا كالقاعدة، ولا بأس أن يكون لكل قاعدة شواذ، لأمور ليس هذا مجالها.

---

(١) فتح الباري ٧/٧ ط المعرفة ـ بيروت.

(٢) رواه البخاري ١٩١/٥ في الشهادات، ومسلم ٢٥٣٣ فضائل الصحابة، والترمذي رقم ٣٨٥٨ فضائل الصحابة.

(٣) فتح الباري ٣/٧، والبخاري ٤/٨، ومسلم ٢٥٣٢، جامع الأصول ٢٥١/٨، الفئام «الجماعة».

(٤) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة بإسناد حسن ـ المرجع السابق ٥/٧ فتح الباري وانظر في ذلك كنز العمال ٤٨٣/١٢ ط مؤسسة الرسالة ـ الترمذي فضائل الصحابة ٦٠٦/٥ ط الحلبي.

المسلم مأمور بمخالطة الناس:

أما وقد ثبت أن الإنسان بحاجة إلى المجتمع لأمور كثيرة ليعيش كإنسان على ظهر الأرض، فإن المسلم فوق هذا في حاجة أشد إلى المجتمع وإلى مخالطة الناس، ليؤدي رسالته، ويبلغ دعوته، ويصلح مجتمعه، ويحق الحق، ويبطل الباطل.

فالدعوة واجبة على كل مسلم، لقوله تعالى « قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ »[1] وقوله « وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ »[2] وقوله « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ »[3].

وقوله ﷺ: من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان»[4]. ولا شك أن تغيير المنكر يحتاج إلى مخالطة الناس والصبر على أذاهم.

قال ﷺ «المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[5].

وعن ابن مسعود أنه قال «خالطوا الناس، وصافوهم بما يشتهون، ودينك لا تكلمنه» وعن عمر رضي الله عنه قال: (خالطوا الناس وزايلوهم في الأعمال وأنظروا لا تكلموا دينكم)[6].

فالمؤمن عمله مع الناس، وثوابه وأجره ـ من مخالطتهم والأخذ بيدهم وإسعادهم ـ على الله سبحانه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ

---

(١) يوسف ـ ١٠٨.
(٢) التوبة ـ ٧١.
(٣) آل عمران ـ ١١٠.
(٤) مسلم والترمذي وابن ماجه.
(٥) الترمذي ٤/٦٦٣.
(٦) فتح الباري ١٠/٥٢٦ باب الانبساط الى الناس.
(٧) المرجع السابق ١٠/٢٢٦.

«كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»[1].

وبرنامج المؤمن في المجتمع عجيب ومبهر، وعطاؤه واسع وعام، ورحمته محيطة وغامرة، منها:

١ ـ إطعام الطعام، والرأفة بكل ذي كبد رطبة، قال ﷺ «مامن مسلم يزرع زرعا أو يغرس غرسا فيأكل منه طير أو انسان أو حيوان إلا كان له به صدقة»[2].

٢ ـ رحمتهم: قال ﷺ «الراحمون الرحمن يرحمهم، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[3].

٣ ـ قضاء حوائجهم قال ﷺ «لا يزال الله في حاجة العبد مادام العبد في حاجة أخيه»[4]. وعنه ﷺ: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة». البخاري ومسلم.

وغير ذلك كثير مما يعرف من أبواب البر: مثل كفالة اليتيم، وإكرام الضيف، وإصلاح ذات البين، مما يدل على أن المسلم مجاهد في مجتمعة، كالشمس ينير للجميع، ولا غناء للناس عنه، ولا غناء له عن الناس، لأنه صاحب رسالة إليهم.

بين الفردية والجماعية:

لا شك أن اتصال الفرد بالجماعة لازم لبناء شخصيته المستقلة وتربية ملكاته العاملة في الحياة والمجتمع كما قدمنا؛ ولكن يجب أن تستغل هذه القدرات الفردية في

---

(١) متفق عليه.
(٢) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي ـ البخاري ٢/٥ في الحرث والزراعة، والترمذي رقم ١٣٨٢، ومسلم ١٥٥٣.
(٣) الطبراني بإسناد جيد ـ والترمذي، وفي البخاري» من لا يرحم لا يرحم» ـ فتح الباري ١٠/٤٤٠.
(٤) الطبراني ورواته ثقات.

سبيل نفع الجماعة، كما تعمل الجماعة لإسعاد الفرد وإشباع ملكاته، وعدم قهر نوازعه الطيبة، فإذا تحكمت الفردية وطغت على الجماعة كانت أنانية وجشعا وإهدارا لكثير من القيم والطاقات في الحياة، وهذا ما مالت إليه بعض النظريات الأرضية، وترتب على هذا الميل كثير من المآسي: كالقلق، والاستعباد، والذل والهوان، وقد حرم الإسلام ذلك ونهى عنه. قال تعالى « وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ »[1] وقال تعالى: « وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ »[2].

وقال ﷺ «إياكم والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش والتفحش، وإياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا»[3] «من غشنا فليس منا»[4]. «لا يحل لامريء يبيع سلعة يعلم أن بها داء إلا أخبر به»[5].

حملت الفردية الإنسان على الأنانية والظلم والفحش والشح والقطيعة، فسار في هذا الطريق الذي أهلك الأخضر واليابس. قال تعالى: « وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً »[6].

وعلى هذا قامت الرأس مالية في الغرب، وتوسعت في بهرجة فردية الإنسان، وتركت له حرية التصرف في كثير من الأمور، حتى وصل الأمر إلى ترك العنان للشهوات والأهواء، فتحطمت الأخلاق، وضاعت القيم، وترك الحبل على الغارب للنهم الاقتصادي، حتى لا يعترف فيه بحق أحد في توجيهه وضبط تصرفاته، فاستغل الضعيف، وامتصت جهود البؤساء ودماؤهم، وتحولت إلى محافظ مالية تنعش الترف، وتغذي المتاع الحسي الرخيص، وتحكم القبضة على أداة التوجيه، حتى لا تستغيث الفريسة بأحد أو تستجير بقانون.

---

(١) التغابن ـ ١٦.
(٢) الليل ـ ٨ ـ ١١.
(٣) رواه أبو داود والحاكم ـ صحيح على شرط مسلم.
(٤) رواه مسلم ـ ١٠١، والترمذي رقم ١٣١٥ بيوع.
(٥) البخاري ٤/٢٦٣ بيوع، ابن ماجه (٢٢٤٦).
(٦) الأنفال ـ ٢٥.

كما أن إلغاء الفردية في الجانب الآخر وكبت النوازع الشخصية لحساب المجموع هلاك للفرد ذاته، وهلاك للجماعة، كنتيجة طبيعية لذلك.

والإسلام لا يقر هذا أيضا، إذ يترك للفرد حريته، ليعمل بطاقته كلها، شرط أن تنفع النفس والمجموع، ويقيم المجتمع حارسا على هذه الحرية، شرط أن لا يتعدى على القيم والتعاليم التي وهبها الله للإنسان، وأنعم عليه بها لسعادته وصلاحه. من هذه الحريات:

ـ **الحرية الشخصية**: حرية الذات. فقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا كما قال عمر بن الخطاب، وقال الإمام علي: «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا».

وقال ﷺ: «لا يكن أحدكم إمعة، يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساؤا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤا أن تجتنبوا إساءتهم»[1].

ـ **الحرية الفكرية**: وتعني أن يكون لكل إنسان الحق في اختيار مايراه من عقيدة «لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ»[2] «فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ»[3].

على أن الإسلام لا يترك الناس دون توجيه وإرشاد وبيان للرشد من الغي، وإزالة لأسباب الضياع النفسي والفكري: من نشر للخرافات وتعميمها، وإلهاب الغرائز الجنسية، والأهواء الفاسدة وإشباعها، وإبقاء للناس في الجهل والعمى.

ـ **الحرية السياسية**: وتعني أن للفرد أن يشغل المناصب، ويساهم في الأمور السياسية، ولا يمنعه من ذلك مانع مادام أهلا لذلك، كما أن له حق النقد الصحيح والشورى والنصح، وإزالة المنكر، والمشاركة في جلائل الأمور.

يقول الرسول ﷺ: «ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أحقر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا

---

(١) رواه الترمذي رقم ٢٠٠٨ حديث حسن.
(٢) البقرة ـ ٢٥٦.
(٣) الغاشية ـ ٢١ ـ ٢٢.

عدلا»[1]. أي أن المسلمين متساوون فيما بينهم في الحقوق والواجبات، قال ابن حجر: ذمة المسملين واحدة، ومعنى قوله يسعى بذمتهم أدناهم: أي أقلهم، يدخل في ذلك كل وضيع بالنص، وكل شريف بالفحوى، فدخلت المرأة والعبد والصبي، فإذا أمّن أحد المسلمين كافرا وأعطاه ذمة لم يكن لأحد نقضه، فيستوي في ذلك الرجل والمرأة وكل مسلم، لأن المسلمين كنفس واحدة[2].

ـ **الحرية المدنية**: وهي تشتمل على حرية المسكن والبلد والعمل وطريقة حياته الخاصة والكسب، وكيفية تحصيل المال، وتملكه وحيازته، والاستفادة من المواهب الطبيعية، مادام في الإطار الشرعي، عن الإمام علي رضي الله عنه: «البلاد بلاد الله، والعباد عباد الله، فما أصبت من خير فأقم»[3]. «فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور»[4]. قال ﷺ: «المحتكر خاطيء، والجالب مرزوق»[5].

وقال ﷺ «كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»[6]. وقال ﷺ: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي من المؤمنين فترك دينا فعليَّ قضاؤه، ومن ترك مالا فهو لورثته»[7].

وهذه الحرية جعل لها الإسلام أطرا لتصب في خير الجماعة ونفعها الخير صبا، ولتطلق طاقات الفرد، حتى يستطيع أن يؤدي دوره في الحياة بكفاءة وانطلاق، لتعمل ملكاته وفطرته في إبداع وحب. فالكل جسد واحد، والأفراد أعضاء ذلك الجسد، وما أروع قول الرسول ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم: كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر»[8].

فلا صحة للفرد إلا بالجماعة، ولا قوام له إلا بها، ولا اعتدال للجماعة ولا كفاءة لها إلا بالفرد، ولا استقرار ولا سعادة أو عزة لها إلا به.

---

(١) أخرجه البخاري، انظر فتح الباري ٤٢/١٢.
(٢) انظر في ذلك فتح الباري ٨٦/٤، ٢٧٤/٦ ط المعرفة ـ عبدالباقي.
(٣) نهج البلاغة ص ٢٢٣.
(٤) الملك ـ ١٥.
(٥) مسلم (١٦٠٥)، ابن ماجه (٢١٥٥).
(٦) البخاري ١٧١/٩ في النكاح، مسلم رقم (٢٥٦٣) في البر، والترمذي (١٩٢٨).
(٧) البخاري ٧/١٢ و٨، مسلم ـ ١٦١٩، الترمذي ١٠٧٠.
(٨) البخاري ومسلم ـ ٢٥٨٦.

المبحث الثاني
لزوم الجماعة والحث على اتباعها

حث الإسلام على الالتفاف حول الجماعة:

جاء الإسلام لينشيء أمة يربي بها العالم، ويبعث بها من رقاد، ويجاهد الباطل بأنوار الحق، وتمكن من ذلك، وكون خير أمة أخرجت للناس «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ»[1].

ورفع همتها وعزمها وجهادها « وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ »[2].

وحافظ على كيان تلك الأمة، وحث على تماسكها والالتفاف حولها، حتى لا ينقض جمعها أو تنحل عروتها، وجعل لها دستورا وتعاليم وغاية تلتف حولها وتستمسك بها، فقال تعالى « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا »[3].

وقال تعالى « وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ »[4].

وقال تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا »[5].

---

(١) آل عمران ـ ١١٠.
(٢) آل عمران ـ ١٣٩.
(٣) آل عمران ـ ١٠٣.
(٤) آل عمران ـ ١٠٥.
(٥) النساء ـ ٥٩.

«وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ»[1].

«وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا»[2].

ونهى القرآن عن التفرق وعن الفردية في مجال الالتفاف حول المباديء والآمال والأهداف، والجهاد في سبيلها، وقرر أن عناصر التشتت والتشرذم هي هي عناصر الضياع والهزيمة، «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين». وكان حض القرآن قبل غزوة بدر على إصلاح ذات البين والالتفاف حول الغاية أساسا في النصر، وفي تأييد الله وعونه، وفي التفاف المسلمين حول أهداف عليا بدلا من الالتفاف حول الشهوات. قال تعالى «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»[3].

وقد شدد الرسول ﷺ على الالتزام بالجماعة وأصدر أحكاما معينة ضد المفارقين لها، منها:

أ - إهدار الدم: قال ﷺ: «لا يحل دم امريء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[4]. قال ﷺ: «إذا بويع لإمامين فاقتلوا الآخر منهما».

---

(١) الروم - ٣١ - ٣٢.
(٢) التوبة - ١٠٧ - ١٠٨.
(٣) الأنفال - ١.
(٤) رواه البخاري ١٢/١٧٦ في الديات، ومسلم رقم ١٦٧٦ في القسامة، وأبو داود رقم ٤٣٥٢، والترمذي ١٤٠٢ في الديات، والنسائي ٧/٩٠، ٩١ في تحريم الدم.

قال النووي ـ معنى هذا الحديث: إذا بويع لخليفة بعد خليفة فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها، وبيعة الثاني باطلة يحرم الوفاء بها[1].

وأخرج أيضا عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «من بايع إماما فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا رقبة الآخر»[2].

وأخرج النسائي عن عرفجة الأشجعي رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ على المنبر يخطب الناس فقال: «إنه سيكون بعدي... فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد أن يفرق أمر أمة محمد ﷺ كائنا من كان فاقتلوه، فإن يد الله مع الجماعة... الحديث»[3].

ب ـ خلع ربقة الإسلام من عنقه: قال ﷺ: «فإن من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلى أن يرجع»... قالوا: يارسول الله، وإن صلى وصام؟ قال: «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»[4].

جـ ـ شر يجب الفرار منه: عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يارسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، فقلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. فقلت: يارسول الله، صفهم لنا. قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا. فقلت: يارسول الله، فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق

---

(١) المنهاج على مسلم الثبوت ١٢/٢٣١.
(٢) مسلم ٣/١٤٧٢، والنسائي ٧/١٥٢ ـ ١٥٣، وأبو داود ٤/٩٧، وابن ماجه ٢/١٣٠٦
(٣) أخرجه النسائي ٧/٩٧، ومسلم ٣/١٤٧٩، وأبو داود ٤/٢٤٢، وأحمد ٤/٢٤.
(٤) رواه الإمام أحمد ٤/٢٠٢.

كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك[٦] «الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية، وعليكم بالجماعة والعامة»[١].

د ـ رضاء الله وتأييده وثوابه: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يد الله مع الجماعة»[٢].

هـ ـ نقض لعرى الإسلام: أخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة الباهلي: عن رسول الله ﷺ قال: لينقضن عرى الإسلام عروة عروة، وكلما نقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولها نقضا الحكم وآخرها الصلاة[٣].

هذا وقد حض سلفنا الصالح على الاستمساك بالجماعة والمحافظة عليها ـ أخرج أحمد عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس فقال: «. . . . فمن أحب بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة»[٤]. وقال عمر بن الخطاب: «يامعشر العرب، الأرض الأرض. إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا ببيعة، ولا بيعة إلا بطاعة»[٥]. وقال علي بن أبي طالب «كدر الجماعة خير من صفو الفرد».[٦]

جماعة المسلمين:

الجماعة لغة: ما يدل على تضام الشيء. وفي المعجم الوسيط هي: العدد الكثير من الناس، والطائفة من الناس يجمعها غرض واحد. ولكن ماهي جماعة المسلمين شرعا:

التعريف الشرعي لجماعة المسلمين:

---

(١) أخرجه البخاري ١١/ ٣٠، ٣١ في الفتن، وفي الأنبياء علامات النبوة، ومسلم رقم ١٨٤٧ في الامارة، وأبو داود رقم ٤٢٤٤ فتن.

(٢) أحمد في مسنده ٥/ ٢٤٣، وقال الألباني في تعليقه على العقيدة الطحاوية ٥٧٨: صحيح الإسناد.

(٣) الترمذي ٤/ ٤٦٦.

(٤) أخرجه أحمد ٥/ ٢٥١ حديث صحيح، فيض القدير ٥/ ٢٦٣.

(٥) مسند أحمد بتحقيق شاكر ١/ ٢٣٠ صحيح الإسناد.

(٦) الدارمي ١/ ٧٩. انظر الطريق إلى جماعة المسلمين ص٢٩ ومابعدها.

تكلم العلماء في تعريف جماعة المسلمين بعد ذكر الأحاديث الواردة في الباب وتلخصت تلك الآراء فيما يأتي:

أ ـ هم جماعة صلحاء الأمة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين[1]. من الصحابة والتابعين لهم.

ب ـ جماعة العلماء المجتهدين ومن سار خلفهم.

جـ ـ السواد الأعظم من أهل الإسلام.

د ـ جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير[2].

قد يوهم تعدد الأقوال بأن هناك فروقا جوهرية بينها، ولكن الحقيقة أن المقصود من هذه الآراء واحد، وهو اتباع الجماعة والاقتداء بالعلماء والصلحاء وجمهور المسلمين السائرين في طريق الهدى والصواب على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بقيادة خليفتهم أو أميرهم، وليس المراد من التعريف الأول والثاني والثالث، إتباع الصلحاء والعلماء والسواد الأعظم والاقتداء بهم بغير قيادة أو أمير، كما لا يجوز ان يظن أن العلماء القائلين بهذه الآراء يقولون باتباع من يتركون واجبا من الواجبات، وهو تنصيب الأمير على الأمة، بل ذلك من أوجب الواجبات. يقول ابن تيمية رحمه الله: «يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها. فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي ﷺ: (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم).. فأوجب ﷺ تأمير الواحد في اجتماع القليل العارض في السفر تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع[3]. وقال ﷺ: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[4].

وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي ـ المتوفى سنة ٤٥٠هـ ـ: الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين، وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقدم بها في الأمة واجب بالإجماع، وإن شذ عنهم الأصم!

---

(١) العقيدة الطحاوية ٤٣١.
(٢) انظر في ذلك الاعتصام للشاطبي ٢/٢٦٠ ـ ٢٦٥، وفتح الباري ١٣/٣٦ ـ ٣٧.
(٣) السياسة الشرعية لابن تيمية ص ١٣٨، ١٣٩.
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/٢٤٠.

وقال أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري الأندلسي ـ المتوفى سنة ٤٥٦هـ ـ : اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم حكم الله، ويسوسهم باحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله ﷺ، ولم يخالف في ذلك إلا النجدات من الخوارج[٢].

وقال ابن خلدون:

نصب الإمام واجب، قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين[٣] وبهذا قال البيجوري[٤] وبه قال أبو يعلى الفراء[٤].

هذا وقد جمع تلك التعاريف الإمام الطبري في تعريف تام. واختاره العلماء كالشاطبي في الاعتصام، وابن حجر في فتح الباري، وصاحب العقيدة الطحاوية، وغيرهم. حيث قال: إن الجماعة هي جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير. حيث أمر عليه الصلاة والسلام بلزومه، ونهى عن فراق الأمة فيما اجتمعوا عليه من تقديمه عليهم، والطعن عليه في سيرته المرضية التي اختاره العلماء والصلحاء لتنفيذها لغير موجب، بل بالتأويل في إحداث بدعة في الدين، كالحرورية التي أمرت الأمة بقتالها، وسماها النبي ﷺ: مارقة من الدين... وقد قال ﷺ: «من جاء الى أمتي يفرق جماعتها فاضربوا عنقه كائنا من كان».

ثم قال: وأما الجماعة التي إذا اجتمعت على الرضى بتقديم أمير، كان المفارق لها ميتا ميتة جاهلية. فهي الجماعة التي وصفها أبو مسعود الأنصاري لما قتل عثمان بن عفان، سئل أبو مسعود عن الفتنة فقال: عليكم بالجماعة، فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة». وهم معظم الناس وكافتهم من أهل العلم والدين وغيرهم مع أميرهم.

وقد بين ذلك عمر بن الخطاب ـ حين طعن ـ لصهيب: صل بالناس ثلاثا، وليدخل عليَّ عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن، وليدخل ابن عمر في

---

(١) الأحكام السلطانية ص٥.
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/٨٧.
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٢١٠.
(٤) تحفة المريد على الجوهرة ٢/١٣٦.

جانب البيت، وليس له من الأمر شيء. فقم ياصهيب على رؤوسهم بالسيف، فإن بايع خمسة ونكص واحد فاجلد رأسه بالسيف، وإن بايع أربعة ونكص رجلان فاجلد رؤوسهما حتى يستوثقوا على رجل.

ثم قال: فالجماعة التي أمر رسول الله ﷺ بلزومها وسمى المنفرد عنها مفارقا لها نظير الجماعة التي أوجب عمر الخلافة لمن اجتمعت عليه، وأي أهل الحل والعقد الذين تجتمع كلمة الأمة باتفاقهم وتفترق بتفرقهم»[1].

وقال تعالى لنبيه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[3].

فعلى هذا يكون التعريف الشامل لجماعة المسلمين هو: «أهل الحل والعقد من صلحاء المسلمين إذا اجتمعوا على خليفة أو رئيس للأمة، والناس تبع لهم في ذلك»[4].

وتفصيل الأمر: أن الأمة بسوادها الأعظم من أهل الإيمان ينتخبون ممثلين لهم من أهل الحل والعقد ومن جماعة العلماء يتكون منهم مجلس شورى، وهؤلاء يرشحون خليفة الأمة ورئيسها.

وقد بايعت كبار الصحابة أبا بكر، وبايع الناس تبعا لهم أبا بكر خليفة للمسلمين، وأما تفصيل كيفية جمع المسلمين على إمام، وخطوات ذلك، ومن هم أهل الحل والعقد، وكيفية اختيارهم، وشروط الخليفة، وكيفية اختياره وتمثيله للمسلمين، وما يتبع ذلك من شروط وخطوات، فلذلك بحث آخر إن شاء الله.

---

(١) الأحكام السلطانية لأبي يعلي ص ١٩.
(٢) آل عمران ـ ٣١.
(٣) النساء ـ ١١٥.
(٤) انظر الاعتصام للشاطبي ٢/٢٦٠ ـ ٢٦٥.

هل توجد جماعة المسلمين اليوم؟

بالمفهوم الذي قرره علماء الإسلام لا توجد اليوم جماعة المسلمين، لأن المسلمين أو سوادهم الأعظم أو علماؤهم وأهل الحل والعقد فيهم لم يختاروا حاكما عاما أو خليفة للمسلمين بشروط الخليفة التي قررها الإسلام، لم يوجد ذلك الحاكم العام بعد، ولم تنفذ تعاليم الإسلام ولم يقم شرعه.

والذي يمكن أن نقول به، ونعترف بوجوده: إن هناك جماعات من المسلمين تحاول تربية الناس على الإسلام، وإيجاد المجتمع المسلم، والدولة المسلمة، والخليفة والجماعة المسلمة، وإن هناك دولا لبعض المسلمين تحاول أن تقترب من تعاليم الإسلام، وليس هناك دولة للمسلمين.

ولعل من الأدلة الصريحة على ذهاب جماعة المسلمين وعدم وجود دولة عامة تحكم المسلمين في فترة من الزمان: حديث حذيفة بن اليمان مع رسول الله ﷺ حين قال: «فما تأمرني إن أدركني ذلك قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قال: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[1].

وحديث الإمام أحمد عن أبي أمامة الباهلي: عن رسول الله ﷺ أنه قال: لينقضن عرى الإسلام عروة عروة، وكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولها نقضا الحكم وآخرها الصلاة.[2]

والحديث صريح في أنه سيأتي يوم على الأمة الإسلامية تغيب فيها خلافتها العامة وحكومتها الجامعة.

واجب المسلمين نحو إيجاد الجماعة المسلمة:

الذي يتضح من حديث حذيفة ومن قول الرسول ﷺ له في الحديث السابق «تلزم جماعة المسلمين». فقال حذيفة: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال ﷺ له:

---

(١) أخرجه البخاري ٩/٦٥، وجاء في فتح الباري مع شرحه في ١٣/٣٥.

(٢) أخرجه أحمد ٥/٢٥١، وذكره السيوطي في الجامع الصغير عن الحاكم في مستدركه، وقال صاحب فيض القدير: قال الحاكم صحيح، وقال الذهبي: رجال أحمد رجال الصحيح. فيض القدير ٥/٢٦٣.

فاعتزل تلك الفرق كلها، «أي تلك الفرق التي ضلت الطريق وبعدت عن الإسلام، وأضاعت حكمه، واتبعت أعداءه، وقلدت غير المسلمين، وسارت في الشهوات، وبعدت عن الصراط المستقيم، فإنها كلها ضالة فاعتزلها، ثم قال له. «ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك وفي رواية ابن ماجة: فلأن تموت وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدا منهم.[1]

قال العلماء: وهذا كناية عن الاستمساك بأصل الجماعة، والعمل على إيجادها، ولو كان فيها من الآلام ما فيها، وعض أصل الشجرة كناية عن مكابدة المشقة، كقولهم فلان يعض الحجارة، والعض عليها يدل على الاستمساك بها والعمل بكل الجهد على إظهارها، والتشبث بها، كقولهم في الحديث الآخر «عضوا عليها بالنواجذ» وفيه حجة لمن يحاول إيجاد الجماعة المسلمة، ويتحمل المشاق في سبيل ذلك حتى الموت. أي يظل رافعا الراية، مستمسكا بالحق، مدافعا عنه، عاملا على إحقاقه إلى آخر رمق في حياته.

ولابد للمسلمين أن يتبعوا صاحب الحق حتى تتكون جماعة المسلمين، وأن ينفضوا عن غيره. قال ابن عباس: «إن ناسا من المسلمين كانوا مع المكيين يكثرون سوادهم على رسول الله ﷺ. فيأتي السهم فيرمي به فيصيب أحدهم فيقتله، فأنزل الله تعالى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا »[2].

قال العلماء: فيه تخطئة وتأثيم من يجاري ويقيم بين أهل المعصية باختياره، لا لقصد صحيح: من إنكار عليهم، أو إنقاذ مسلم.[3]

فوجب عدم مساعدة أو تكثير سواد العاملين ضد الإسلام والمسلمين،

---

(١) الجذل بكسر الجيم. عود ينصب لتحتك به الإبل.
(٢) رواه البخاري باب الفتن ٧٠٨٥، فتح الباري ١٣/٣٧، والآية من النساء ـ ٩٧.
(٣) المرجع السابق ١٣/٣٨.

والانضمام إلى العاملين والداعين إلى الله تعالى، إلا إذا كان هناك مصلحة يقررها العاملون للإسلام فلا بأس إلى حين.

والحقيقة أن الإسلام لا تقوم تعاليمه وحدوده إلا بجماعة وإمام وحكومة إسلامية ترعى شؤون المسلمين، وتذب عنهم، وتحمي حماهم، وتحفظ وحدتهم، وتنشر عقيدتهم، وترد المارقين، وتقهر المتزندقين، وتنبه الغافلين عن الحق، لابد من حكومة، لتعلن الإسلام في ربوع الأرض، وتبلغه للمعمورة، وتحمي دعاته، وتحمل منهجه، وتنفذ حدوده، هي ضرورة وفريضة لرفع مستوى النشء ثقافيا وتربويا، ورد الهجمة المسعورة الفاجرة عن ديار المسلمين، وإقامة جوانب الحياة الإسلامية السياسية والعسكرية والإقتصادية والإجتماعية، «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»[1]. إنها إذن ضرورة لتوحيد الكلمة، وجمع الشمل، وإظهار الهيبة، ورفع الحق والعدل، وتبليغ الرسالة، وحفظ الأمانة، ورضاء الله في تبليغ دعوته.

هل تحتاج الدعوة إلى جماعة:

نعم تحتاج الدعوة إلى الله إلى جماعة. والدليل على ذلك العقل والنقل.

أما عقلا: فإن العمل الفردي لا يستطيع أن يؤثر أو يغير إلا إذا كان في جماعة، وما نجحت فكرة أو سادت وعزت إلا إذا ترتب عليها جماعة، وقامت بها وحملتها وجاهدت في سبيلها، والتاريخ خير شاهد على ذلك في القديم والحديث؛ علم هذا أعداء الإسلام، ولهذا فهم يحاربون كل تجمع إسلامي يحمل الفكرة ويربى عليها، ولا بأس عندهم أن يسمحوا بالاتجاه الفكري للأفراد، والعبادات والشعائر التي لا تؤدي إلى تجمع حركي، لعلمهم أنه يستحيل أن تؤدي هذه الأعمال إلى سيادة فكرة أو إنهاض أمة أو إيقاظ شعب وقيادة جيل، وقد يكون هذا الاتجاه الفردي مقصودا من قبل أعداء الإسلام لامتصاص حماس الجماهير وتفريغ شحناتهم في نشاطات وتفاعلات غير مؤثرة على كيانهم ومستقبلهم.

وأما نقلا: فسيرة الرسول ﷺ خير شاهد على ذلك. حيث دعا الرسول ﷺ الناس، وربى على الإسلام، وكون الجماعة المسلمة، وحافظ عليها، وكون فيها قوة

---

(١) حكمة لعثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقصد أن السلطة هي التي تنفذ الفكرة، وتحمل المنهج، والفكرة بدون حماية لا تسمع السماع المطلوب.

مؤثرة استطاعت أن تحمل المنهج، وتبلغ الرسالة، ولا تخشى في الله لومة لائم، وقد هددت هذه الجماعة عند توانيها باستبدال جماعة أخرى بها تحمل الرسالة والمنهج قال تعالى: «وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم»[1] وقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ»[2][3] «وهذا فقد حافظ الرسول ﷺ على هذه الجماعة، لأنها مفتاح النصر. فقال ﷺ يخاطب ربه في موقعة بدر:

«اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض أبدا».

وحث الرسول ﷺ فيما سبق على الالتفاف حول الجماعة، وتوعده لمن خالفهما يدل دلالة قاطعة على دور الجماعة في حفظ الكيان الإسلامي وتقويته، وعلى دورها في الدعوة إلى المنهج والقدرة على حمل تبعاته. وكيف يتصارع الحق مع الباطل إذا كان للباطل قوة في الرجال والعتاد، والحق فكرة ليس لها رجال أو جند، «كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ»[4] «وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ»[5].

إذن لابد من أمة الدعوة، ومن تكوين تلك الأمة وهذه الجماعة إذا لم تكن موجودة، أما إذا اكتفى الدعاة في دعوتهم بالخطب في المساجد والمحاضرات والندوات في المدارس أو الجامعات، ولم ينقلوهم من واقعهم على ماجاء في خطبهم

---

(١) محمد ـ ٣٨.
(٢) المائدة ـ ٥٤.
(٣) المائدة ٥٤ ـ ٥٦.
(٤) الرعد ـ ١٧.
(٥) الصافات ـ ١٧٣.

ومحاضراتهم أو يربوهم على تعاليم الإسلام، أو ينقلوهم إلى مرحلة تكوينية، ثم إلى مرحلة تنظيمية وحركية مؤثرة، يكون مثلهم كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه، وماهو ببالغه. وصدق الله « وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »(١).

« انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ »(٢).

من قديم يواجه المسلمون أعداء مجتمعين متآزرين متناصرين يمسك بعضهم بحجز بعض « وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ »(٣) « الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ »(٤) قد يدهش الإنسان إذا رأى الشيوعي والنصراني واليهودي وحتى من يعبد البقر يعادي الإسلام. وصدق الله « وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا »(٥) « وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ »(٦) « وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ». التوبة - ٣٦.

نرى الزعيم الشيوعي (كاسترو) الكوبي ينصح زعماء اسرائيل، فيقول لأحدهم: (يجب على إسرائيل أن لا تترك حركات الفداء الفلسطيني تتخذ طابعا إسلاميا، لأن اكتساب هذه الحركات هذا الطابع العقائدي سيجعل منها شعلة من الحماس الذي هو مألوف عند الجماعات الإسلامية، وإن هذا الحماس الديني سيستقطب جماعات إسلامية أخرى، مما يجعل من المستحيل على إسرائيل أن تصون

---

(١) آل عمران - ١٠٤.
(٢) التوبة - ٤١.
(٣) الأنفال - ٧٣.
(٤) التوبة - ٦٧.
(٥) البقرة - ٢١٧.
(٦) البقرة - ١٢٠.
(+) بعض من حديث رواه مسلم ١٣٨٤/٣، الترمذي ٦٩/٥.

كيانها، وعلى إسرائيل أن تسعى لجعل كل دولة عربية في جوارها دولة اشتراكية الجذور، فإن منتهى المطاف لأية حركة مقاومة عربية ذات طابع اشتراكي هو التعايش السلمي الاشتراكي العربي مع الاشتراكية الإسرائيلية»[1] وهذه النصيحة لم تغب عن بال اسرائيل ولو للحظة واحدة، (يقول إبن جوريون مفصحا عن خشية اسرائيل من الإسلام: (إن أخشى ما تخشاه إسرائيل أن يظهر في العالم العربي محمد من جديد[2].

وهذا كالاهان رئيس وزراء بريطانيا السابق يدلي بتخوفه من الإسلام للمذيع البريطاني في مقابلة معه للإذاعة البريطانية. حيث سأله المذيع عن أهم الموضوعات التي ستبحث في مؤتمر جوايديلوب الرباعي، فقال له: الشرق الأوسط. فطلب منه المذيع مزيدا من الإيضاح فأجابة باختصار: ربما كان من الصعب عليك أن تفهم ما يدور في هذه المناطق، ولكني كنصراني مخلص أقول لك: إن هناك عقيدة معادية لنا في تلك البلاد، يشعر بها ويعرفها تماما النصارى المخلصون، وهذا هو ما سنبحثه في المؤتمر)[3].

وهذا (موروبيرجر) في كتابه «العالم العربي المعاصر»: «إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجا عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام، يجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي الى قوتهم، لأن قوة العرب تتصاحب دائما مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره.[4]

ويقول لورانس بروان: كان قادتنا يخوفوننا بشعوب مختلفة، لكننا بعد الاختبار لم نجد مبررا لتلك المخاوف، كانوا يخوفوننا بالخطر اليهودي والخطر الياباني والخطر البلشفي، لكنه تبين لنا أن اليهود هم أصدقاؤنا، والبلاشفة الشيوعيون حلفاؤنا، وأما اليابانيون فإن هناك دولا ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتهم. لكننا وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا موجود في الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته المدهشة!!»[5] أرأيت كيف اجتمع الكل على محاربة الإسلام

---

(١) معركة الإسلام للصواف ص ٢٠٣، الطبعة الأولى ١٣٨٩ - ١٩٦٩م.
(٢) الخائفون من الإسلام ص ٤٠ المرجع السابق ص ٤٤.
(٣) الخائفون من الإسلام، د. محمد نعيم ياسين ص ٤١.
(٤) قادة الغرب يقولون، جلال العالم ص ٤٢.
(٥) المرجع السابق ص ٣٧.

والمسلمين ومنازلة دعاته، أترى بعد هذا أن أي إنسان منفرد يستطيع أن يجابه هذا الحقد الأعمى؟ وهذا الطوفان من العدوان والاستعدادات والتضحيات المجنونة التي تسخر لمحق الإسلام؟!

أنظمة مسخرة وجمهرة مخدوعة:

لا نستطيع أن نزيد المسلم علما بما تفعله الأنظمة المعادية ـ إلا من رحم ربك ـ بالإسلام وحملة فكرته، وبما تقوله الأقلام المأجورة وتفعله من سعار ونباح آناء الليل وأطراف النهار، لتلويث الفكرة الإسلامية، والتحريض على حملتها، وعلى القائمين بها والداعين إليها، وبما يفعله الزخم الإعلامي الداوي الذي يصم الآذان في نفوس العامة وبسطاء الناس وسليمي النية من تلك الشعوب المسكينة، أيقدر على هذا فرد ويستطيعه إنسان وحده؟ وتستطيع هذه القوى إخراسه في لحظات، وإسكاته إلى الأبد، بمصاحبة «كورس» من الجهلة والمخدوعين وبمعزوفات قانونية «ونوت» قضائية مبرمجة لسوقه إلى الجحيم.

أجهزة الشبهات: التي انطلقت من قديم لتلبس الحق بالباطل « يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ »[2] الأجهزة المخصصة لإطلاق الأكاذيب والافتراءات، وإذاعة ما يثير الشك والريبة في صدق الدعوة والداعية.

والأجهزة الحديثة التي تحاول الغزو الفكري، وفرض مفاهيمها بجميع الوسائل المبهرجة، حتى لا تدع الإنسان المسلم يفكر ولو لبرهة في تفاهة ما يقال، مما يصم الآذان ويملأ الأثير، تلك الأجهزة التي تعمل على إشاعة الفرقة وتعميق الخلاف بين المسلمين، وشراء الذمم، وفرض الأنظمة، وإفساد الحكم، وإشاعة الجنس، وتهوين الإباحية.

قال لويس التاسع ملك فرنسا ـ الذي أسر في دار ابن لقمان بالمنصورة في وثيقة محفوظة بدار الوثائق القومية في باريس ـ : إنه لا يمكن الانتصار على المسلمين

---

(١) آل عمران ـ ٧١.
(٢) البقرة ـ ٤٤.

من خلال حرب، وإنما يمكن الانتصار عليهم بواسطة السياسة: أي الحيل والشبهة والضلالات باتباع مايلي:

١ ـ إشاعة الفرقة بين قادة المسلمين، وإذا حدث فيعمل على توسيع شقتها ما أمكن، حتى يكون هذا الخلاف عاملا في إضعاف المسلمين.

٢ ـ إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرشوة والفساد والنساء، حتى تنفصل القاعدة عن القمة.

٣ ـ الحيلولة دون قيام جيش قوي مؤمن برسالته وحق وطنه، يضحي في سبيل مبادئه «يعني الإسلام».

٤ ـ العمل على قيام دولة غربية في المنطقة العربية، تمتد مابين غزة جنوبا، إلى أنطاكيا شمالا، ثم تتجه شرقا وتمتد حتى تصل إلى الغرب.[١]

أنظرت إلى هذه الأراجيف والمخططات التي تقوم عليها أقوى الدول وأعتى القادة، أيستطيع ان يقارعها فرد ويقاومها شخص وحده مهما كانت قوته؟

إذن فلابد من قيام الدعوة بأمة، لتستطيع أن تقارع هذا وتقاومه، وتنهض بأعباء الرسالة. والقول بغير هذا جنون وانتحار، وإجهاض للعمل الصحيح الذي لا طريق غيره، ولا نجاة بدونه.

ترسيخ الجماعة في حس المسلم:

ولهذا رسخ الإسلام مفهوم الجماعة في حس المسلم بطائفة من التشريعات والشعائر التعبدية والاجتماعية. فجعل صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة[٢]، وشدد الرسول ﷺ في تقريع من يتخلف عن الجماعة فقال: «ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلا فيصلي بالناس، ثم أنطلق ومعي رجال معهم حزم من حطب، إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»[٣].

---

(١) الدعوة إلى الله للمؤلف ص ١٤٩.
(٢) أخرجه مسلم في الصحيح في **فصل صلاة الجماعة** ١/٤٥٠، رقم ٦٥٠.
(٣) الحديث أخرجه مسلم في **الصحيح**، **كتاب المساجد** ١/٤٥١.

وشرع الإسلام الصوم جماعة في رمضان، لا يتقدم عنه أحد أو يتأخر، وقال ﷺ: «الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون»[1].

وفريضة الحج في أشهر معلومات «الحج أشهر معلومات»، في يوم واحد «الحج عرفة»، في اجتماع عام، من كل فج عميق، «وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ»[2].

وكذلك ذكر الله سبحانه في جماعة ينزل الرحمة، ويباركه الحق سبحانه، وتحفه الملائكة. قال ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى، يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[3]

اجتماع مفكري المسلمين المعاصرين على الجماعة:

اتفق أصحاب الفكر الإسلامي في العصر الحديث على أنه لا قومة للدعوة الإسلامية أو للعمل الإسلامي إلا بجماعة.

يقول الأساتذة وكثرة من العلماء: «يجب أن تحمل هذه الدعوة جماعة تؤمن بها وتجاهد في سبيلها»[4].

ويقول الأستاذ المودودي: «ومن سنن الله في الأرض: أن يحمل هذه الدعوة رجال يحافظون عليها ويسوسون أمرها»[5].

ويقول الأستاذ الشهيد سيد قطب: «فكيف تبدأ عملية البعث الإسلامي بدون جماعة؟ إنه لابد من طليعة تعزم هذه العزمة»[6].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي ٣/ ٨٠ برقم ٦٩٧، وابن ماجه ١/ ٥٣١، رقم ١٦٦٠.
(٢) الحج ٢٧ ـ ٢٨.
(٣) الحديث أخرجه أبو داود ٤/ ٧١، رقم ١٤٥٥، وابن ماجه ١/ ٨٢، رقم ٢٢٥.
(٤) استطلاع للعلماء في الكويت.
(٥) تذكرة دعاة الإسلام ص ١٩.
(٦) معالم في الطريق ـ ٩.

ويقول الأستاذ فتحي يكن: «فالرسول ﷺ لم يعتمد أسلوب العمل الفردي قط، وإنما حضّ من أول يوم على إقامة جماعة»[1].

هذا وقد قدمنا أقوال الرسول ﷺ في الجماعة. وقول عمر بن الخطاب: لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة.

إذن فعلى كل مسلم يريد أن يعز الإسلام والمسلمين، ويريد أن يدعو الى الله في الأرض: أن يحث على الجماعة العاملة بحق على سنن رسول الله ﷺ، لإقامة دعوة الله ومنهجه في الأرض، ليكون الدين كله لله.

العقل الجمعي:

لا شك أن الجماعة تتكون من أفراد لكل منهم عقل خاص به، وإذا ارتقت عقول الأفراد ارتقى بلا شك عقل الجماعة، لأن اجتماع هؤلاء الأفراد في مجتمع واحد يجعلهم يتفاعلون، وتتلاقح أفكارهم، ويستفيد بعضهم من بعض، فيرقى المستوى العقلي للفرد والمجموع على حد سواء، وهذا يؤدي إلى إيجاد عقلية جديدة، تكون نتاج تلك العقول مجتمعة، أو خلق رأي آخر عند التشاور والتباحث في الأمور يعبر عن الرأي المختار في مسألة من المسائل.

فيكون الرأي المختار هذا هو نتاج العقل الجمعي. إذن فرأي الجماعة هو نتاج العقل الجمعي، ويكون بذلك أفضل الآراء وأبعدها عن الخطأ، وقد أمر الله سبحانه بالرأي الجمعي، فقال تعالى: «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ»[2] «وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ»[3] وروي عن الحسن البصري رضي الله عنه والضحاك قالا: ما أمر الله تعالى نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم مافي المشاورة من الفضل، ولتقتدي به أمته من بعده.

وفي الأثر: «ماندم من استشار، ولا خاب من استخار» وعن الساعدي قال: ماشقى عبد بمشورة، وماسعد باستغناء رأي، وقال الحسين: والله ما تشاور قوم

---

(١) ماذا يعني انتمائي الى الإخوان ص ١٠٣. وكل ماكان من أعمال فردية في الإسلام إنما كانت في نطاق جماعة وبتوجيهها، مثل قصة نعيم بن مسعود وغيره.

(٢) آل عمران ـ ١٥٩.

(٣) الشورى ـ ٣٨.

بينهم إلا هداهم الله لأفضل ما يحضر بهم، قال ابن عطية: والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه[1]. وقال الحسن البصري: ما شاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم[2].

ولكي نضرب مثلا للعقل الفردي والجمعي وعمل كل منهما، نفرض أننا نريد رأيا في موضوع معين، وكلفنا كل فرد من أفراد الجماعة القادرين على إبداء الرأي في المسألة بأن يبدي لنا رأيه مكتوبا في الموضوع، ثم حددنا موعدا يجتمع فيه الأعضاء للاتفاق على صيغة ورأي موحد للعمل به، سيحضر كل عضو إلى قاعة المناقشة ومعه نموذج يمثل فكره ورأيه الخاص أو عقله الفردي، ثم تبدأ المناقشة حيث يذكر أحد الأعضاء رأيه، فيرد عليه عضو آخر مبديا رأيه، وثالث يعلق على الرأيين، وتحتدم المناقشة وتتصارع الآراء والأفكار، ويلقي كل عضو من الأعضاء ما لديه من أفكار في القضية، ولا شك أن المناقشات والتضارب بين الآراء ستؤدي إلى خلق أفكار جديدة قد لا يكون أحد الأعضاء فكر فيها أو اهتدى إليها، ولكن المناقشات قد حملت عقل كل عضو من الأعضاء إلى آفاق جديدة، وأخيرا ينتهي الحاضرون إلى رأي يرتضونه جميعا، أو على الأقل السواد الأعظم منهم، وهذا الرأي الذي قد يكون مختلفا تمام الاختلاف عن الرأي الذي أتى به كل منهم، والذي يمثل عقله الفردي. هو ما نسميه العقل الجمعي بالنسبة لهذه الجماعة في هذه المسألة بالذات. وقد يوافق رأي الجماعة رأي واحد منهم، فيكون رأيه أخيرا رأيا جمعيا، ويكون العضو صاحب هذا الرأي قد قذف الله الصواب في رأيه، ووافق رأي المجموع، أو رأي المجموع رأيه فارتضاه وأقر به[3]. إذاً فرأي الجماعة هام في اعتدال الأمور، وفي الصواب والوصول إلى الطريق المستقيم.

---

(١) تفسير القرطبي ٤/٢٤٩ ط دار الكتب.

(٢) الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن ٤/٩٤ و٩٥ الماوردي. الأحكام السلطانية ص٣٣.

(٣) انظر في ذلك ديناميكية الجماعات جورج بيل ص ٢٦، وأسس علم الاجتماع لحسن سعفان بتصرف، ص ٤٤، وما بعدها، ط دار النهضة العربية مصر.

المبحث الثالث
قيادة الجماعة الناجحة

القيادة والجماعة في الإسلام

كل جماعة لابد لها من قيادة فعالة ترعى أمرها، وترتاد لها الطرق، وتخطط وتسير بها إلى أهدافها المرادة، والقيادة دائما تكون هي الأقدر على أداء مطالب معينة للجماعة، وعند حدوث أزمة ما، يتجه الأعضاء إلى هؤلاء القادة بسهولة أكثر من اتجاههم إلى الأفراد الذين لم يختاروهم في جلائل الأمور.

وعادة ما يكون قائد الجماعة القائمة على الشورى هو الشخص الذي تجتمع فيه قيم ومعايير جماعته، وتعتبر الجماعة حكمه أكثر تمشيا مع حكم الجماعة، كما تعتبر الآراء البديلة التي يقترحها موائمة مع نظام القيم لهذه الجماعة، وكثيرا ما يمكن القول: إنه عادة يفضل غاية الجماعة على أي شيء.

كما تتوافر لدى قائد الجماعة، القدرة على إدارة الإتجاه الذي تسير فيه الجماعة والسير في هذا الاتجاه بسرعة أكثر من سير الجماعة ككل بدونه، لأن بصيرته بالوسائل والغايات ستساعد الجماعة مساعدة ممتازة، ومن أجل هذا جعل على رأس الجماعة كقائد. نضرب لذلك مثلا واحدا من قيادة أبي بكر رضوان الله عليه:

لما توفي رسول الله ﷺ وجيش أسامة معسكر بالجرف بأمر رسول الله ﷺ، وقد ارتدت معظم العرب، أرسل أسامة عمر بن الخطاب ـ وكان معه في جيشه ـ إلى أبي بكر الصديق يستأذنه أن يرجع بالناس، وقال: إن معي وجوه الناس وقادتهم، ولا آمن على خليفة رسول الله وحرم رسول الله والمسلمين أن يتخطفهم المشركون، وقال من مع أسامة من الأنصار لعمر بن الخطاب: إن أبا بكر خليفة رسول الله، فإن أبى إلا أن نمضي فأبلغه عنا وأطلب إليه أن يولي أمرنا رجلا أقدم سنا من أسامة.

فخرج عمر بأمر أسامة إلى أبي بكر فأخبره بما قال أسامة، فقال: لو تخطفتني الكلاب والذئاب لأنفذت جيش أسامة كما أمر رسول الله ﷺ، إذا لم يبق في القرى غيري لأنفذته. قال عمر: فإن الأنصار تطلب رجلا أقدم سنا من أسامة. فوثب أبو

بكر وكان جالسا وأخذ بلحية عمر وقال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أعزله؟

ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم وأشخصهم وشيعهم، وهو ماش وأسامة راكب. فقال له أسامة: ياخليفة رسول الله، لتركبن أو لانزلن. فقال: والله لانزلت ولا أركب، وما عليَّ أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله، فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له، وسبعمائة درجة ترفع له، وسبعمائة سيئة تمحى عنه.

فلما أراد أن يرجع قال لأسامة: إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل، فأذن له ثم وصاهم، فقال: لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا، ولا شيخا كبيرا، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا أو تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا «إلا لمأكلة»، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فأخفقوهم بالسيف خفقا. اندفعوا باسم الله وأوصى أسامة أن يفعل ما أوصى به رسول الله.

فساروا وأوقعوا بقبائل من ناس قضاعة التي ارتدت، وغنموا.

وعاد وكانت غيبته ٤٠ يوما، وكان إنفاذ جيش أسامة أعظم الأمور نفعا للمسلمين، فإن العرب قالوا: لو لم يكون بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه.(١)

فكان أبو بكر قائدا ذا بصيرة، عنده القدرة على تسيير الأمور في أحلك الأزمات كما كان عنده بصيرة بالوسائل والغايات التي تساعد الجماعة، كما كان يمثل الفكرة، ويحمل قيم الجماعة، ولا يتخلى عنها، يظهر ذلك في وصيته للجيش الغازي التي تتجلى فيها تعاليم الإسلام ومثله الحية الطاهرة.

قال عبدالله بن مسعود: لقد قمت بعد رسول الله ﷺ مقاما كدنا نهلك فيه لولا أن الله منّ علينا بأبي بكر، أجمعنا على ألا نقاتل على ابنة مخاص وابنة لبون، وأن

---

(١) انظر في ذلك الكامل لابن الأثير ٢/ ٣٣٤، ٣٣٥ ط دار صادر، وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٦ ص ٣٠٤ ط مكتبة المعارف بيروت، وانظر حياة الصحابة ١/ ٦٣١ الى ٦٤٠ ط دار القلم.

نأكل قرى عربية، ونعبد الله حتى يأتينا اليقين، فعزم الله لأبي بكر على قتالهم، فوالله ما رضي منهم إلا بالخطة المخزية، أو الحرب المجلية، فأما الخطة المخزية، فأن يقروا بأن من قتل منهم في النار، ومن قتل منا في الجنة، وأن يدوا قتلانا، ونغنم ما أخذنا منهم، وأن ما أخذوا منا مردود علينا، وأما الحرب المجلية، حتى يخرجوا من ديارهم.[1]

الأفراد القادة:

ليست القيادة شيئا سحريا يتوافر لدى فرد ما ولا يتوافر لدى فرد آخر، ولكن القيادة سلوك مكتسب، يستطيع أي فرد تحسين نفسه في هذا المجال عن طريق الدراسة والممارسة الملائمة والاجتهاد، غاية ما في الأمر أن كل شخص يستطيع أن يكون قائدا في ناحية معينة، حسب قدراته وتوجيهاته ودراسته وممارسته إذا استطاع أن يحسن التصرف ويستفيد من تجاربه وتجارب الآخرين، ويفهم أهداف الجماعة والأجواء التي تحيط بها وبتلك الأهداف.

وتنتشر القيادة في جماعة الشورى المسلمة، ويعتبر كل عضو قائدا كلما أسهم بتقديم فكرة يتطلبها الموقف في وقت معين، وتنتقل القيادة من شخص إلى آخر كلما أسهم كل عضو بتقديم شيء تتطلبه الجماعة في سبيل تحقيق أهدافها.

كما أن كل عضو يعتبر نفسه مسئولا عن الجماعة، ويتحتم أن يكون عنده بصيرة ما بسبل القيادة، كما يجب أن يدرك الأهمية الكبرى لإسعاد الجماعة بالبلوغ إلى الأهداف، والوصول بالمركب إلى بر الأمان، ويكون مستعدا لتحمل المسؤوليات لو اقتضى الأمر.

وما أروع قول الرسول ﷺ: «كلكم راع، وكل راع مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله، وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع، وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع ومسئول عن رعيته».[2]

---

(١) انظر المراجع السابقة في مناقب أبي بكر الصديق.

(٢) متفق على صحته: البخاري ١٣/١٠٠، وأخرجه مسلم «١٨٢٩» في الإمارة.

وقول الرسول ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم.»[1]

وبالمسئولية وبفتح البصيرة وبالفكر وبمعرفة الغاية وبالدراسة والدراية والمعرفة تتكون الكوادر، وتظهر المواهب والقيم، فلا تعقم الجماعة ولا تجدب، وإنما دائما تخرج القادة في كل مجال وفن وموقع وموضع.

صفات القائد المسلم الناجح:

عرفنا أن القائد هو الشخص الذي تجمل فيه قيم ومعايير جماعته، وتعتبر الجماعة حكمه أكثر تمشيا مع حكم الجماعة، كما تعتبر الآراء التي تقترح متوائمة مع نظام القيم لهذه الجماعة، وقد لا يخترع القائد جديدا، وإنما يكون أقدر من غيره على فهم اتجاه العقل الجماعي، ويحسن تنفيذه وتوجيهه الأفراد إلى العمل به في كفاءة.

إذاً الذي يصرف الأمور ويأخذ القرار في الحقيقة هو العقل الجمعي وهم مجرد معبرين وضابطين لهذا العقل، ومنفذين لهذه القرارات التي اتخذت.

ولكن القادة ـ رغم ذلك ـ لابد أن يتصفوا بصفات معينة، قد لا تكون في أحد أفراد العقل الجمعي، نظرا لظهورهم كقدوة أكثر من غيرهم، ونظرا لمخالطتهم الناس وحملهم أعباءهم وتبعاتهم، وصدق الله إذ بين ذلك في رسوله ﷺ « لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ »[2].

وإجمالا صفات القائد الناجح هي صفات المؤمن الصادق العامل، ويسهل الرجوع إلى ذلك في القرآن والسنة خشية الإطالة.

ولكن هناك صفات يجب أن تكون بارزة فيه على الخصوص، حتى يكون بحق قائدا ناجحا لجماعة لها أهداف وغايات تحب أن تصل إليها: من هذه الصفات.

١ ـ العقل والقدرة على الإجابة والإقناع:

لا شك أن بعض الأفراد الذين تؤثر آراؤهم لواقعيتها وعلميتها وحجيتها في

---

(١) أخرجه مسلم في العتق (١٣٧٠)، وأخرجه أحمد وأبو داود، انظر شرح السنة للبغوي ٩٠/١١.

(٢) التوبة ـ ١٢٨.

الأفراد الآخرين بدرجة كبيرة، وتسود في الجماعة قدرتهم على الفهم السريع والتكوين للحلول في الأزمات والمواقف، يكون لهم شأن معين في قيادة الجماعات.

٢ ـ العلم بالمنهج والرسالة وخطة الجماعة التنفيذية:
فالعلم بالمنهج ضروري والإحاطة بالرسالة أساس، وإدراك الأمور ومعرفة الحقائق التي تحيط بالجماعة شيء جوهري، والقدرة على التحليل وربط الأسباب بمسبباتها، والفطانة لمحاورات ومدورات كثير من الأعداء ومعرفة طبيعة المرحلة ومتطلباتها، ومعرفة المكائد وتلقيها بما يليق بها من أساليب الردع، إلى غير ذلك من ضروريات كل موقف وكل مكيدة.

٣ ـ تتمثل فيه قيم الجماعة:
وكان الرسول ﷺ خلقه القرآن، وكان المثل الحي لدعوته « لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا »[1].

وقد رأينا كيف تمثلت قيم الجماعة في أبي بكر وعمر والتابعين لهم بإحسان، حتى كان يقال لهم: «عففت فعفت الرعية، ولو رتعت لرتعوا» أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم.

٤ ـ أن تكون آراؤه أكثر تمشيا مع حكم الجماعة.
فالجماعة جماعة شورى. وقد استشار الرسول ﷺ، وأمره الله بالشورى فقال: «وشاورهم في الأمر» «وأمرهم شورى بينهم» فلا مجال لدكتاتوريات ولأن القرآن أخبر أن الدكتاتوريات في التاريخ كانت مدمرة وماحقة للجماعة والإنسانية: مثل فرعون والنمرود، ثم الأكاسرة، والقياصرة، ومن جاء على آثارهم!! كما يجب أن يعد الفرد القائد في رأيه ودربته وحنكته وعلمه وفهمه، حتى تنهض به الجماعة وينضج رأيها.

٥ ـ يستطيع توجيه الأفراد ومساعدتهم.
يوجه الأفراد ويستطيع مساعداتهم على فهم إحباطاتهم بأسرع ما يمكن كأعضاء في الجماعة في نطاق الإطار الجماعي، وإذن لابد أن يكون مربيا

---

(١) الأحزاب ـ ٢١.

ماهرا، وطبيبا حاذقا، وأن يدرب فريقا من المربين معه حتى لا ينفصل الفرد عن أهداف الجماعة ويصبح شيئا آخر غير منهجه ورسالته، وقد كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم أول دار للتربية، وظل الرسول ﷺ يربي بالقرآن، ويعدل السلوك، ولم يشغله الغزو أو الفتوحات عن مواصلة هذا الهدف الذي هو هدف الإسلام، ليخرج الناس من الظلمات الى النور.

تعليمات قيادية:

هناك تعاليم قيادية يجب أن يلحظها القادة، وأن تكون نصب أعينهم، حتى تكون عملية القيادة للجماعة مجدية ومؤدية للأغراض المنوطة بها، وهي بلا شك تكمل ماسبق من صفات القيادة، وتكون كالشرط بالنسبة للركن في عرف الأصوليين. منها:

١ ـ ليكن في ذهنك ـ كقائد ـ هدف واضح محدد المعالم، تقصد إليه بعزيمة وجد، وخطة وأسلوب مدروس. «فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ».

وقال ﷺ: «ما كان لنبي لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه»[٢] وهذا كان في غزوة أحد، وبعد أن استشار أصحابه.

٢ ـ ليكن في ذهن القائد كل البدائل للخطط المرادة بعد دراستها بدقة، حتى إن ضاق عليه سبيل وجد وبسرعة سبيلا أخرى.
وقيل: «ينبغي للقائد أن يبني أموره على استكشاف الخطط: اللين، فالإغلاظ فالتهديد، وآخر الدواء الكي».

٣ ـ القائد يعرف طريقه جيدا وينتهز كل فرصة متاحة تفيده وتدفعه إلى غايته، قال عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس: «الأناه محمودة إلا عند إمكان الفرصة».
وقال غيره: «الفرصة تمر مر السحاب»، وقال غيره: «تجرع من عدوك الغصة

---

(١) آل عمران ـ ١٥٩.
(٢) الروض الآنف للسهيلي ١٤٩/٣ ط الكليات الأزهرية.

إلى أن تجد الفرصة، فإذا وجدتها فانتهزها قبل أن يفوتك الدرك أو يعينه الفلك».[1]

٤ ـ القائد أغير الناس على هدفه، يبث الحماس في جماعته، ويشيع جوا من الثقة والثبات والنشاط في قلوب الجميع.

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ »[2].

« وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ »[3].

٥ ـ تأكد من أن الجماعة ترى القائد وتنظر إليه وتقتدي به، فإن جد جدوا، وإن رتع رتعوا، « لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ »[4] « أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ »[5].

٦ ـ أن يدرك أهمية النظام والمحافظة عليه، وأفضل الأنظمة ما يحقق الهدف بالطرق الصحيحة.

٧ ـ قائد الجماعة يستطيع أن يشرح ويفهم، ويرد على الاستفسارات بوضوح ومنطق فيما لا يضر الجماعة، وقد سألت الصحابة رسول الله ﷺ وأجاب عن كل ما لا يضر الجماعة المسلمة، وبما يوافق الحقيقة.

« يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ »[6].

---

(١) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة: ص ٢٢٣ ط المنار، الزرقا. محمد علي القلعي المتوفى سنة ٦٣٠ هـ تحقيق إبراهيم يوسف.
(٢) الأنفال ـ ٦٥.
(٣) آل عمران ـ ١٣٩.
(٤) الأحزاب ـ ٢١.
(٥) الأنعام ـ ٩٠.
(٦) البقرة ـ ١٨٩.

« وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ »[1].

« يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ »[2].

« يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ »[3].

« يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ »[4]

« وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى »[5].

« وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا »[6].

٨ ـ القائد أول من يحترم القواعد ويلتزم بالتعاليم ويتفقد ذلك في جماعته واحترام القائد للتعاليم الإسلامية احترام للشرع ولتعاليم الإسلام في كل أمر من الأمور.

٩ ـ القائد أول من يبتعد عن أحلام اليقظة. لأنه يتصور المواقف على أساس من الدراسة العقلية والفعلية المبنية على أسس من البينات والحجج المنطقية والواقعية.

١٠ ـ قيادة الدعوات تقتضي مهارات فائقة في العلاقات الإنسانية، وفي فهم أحوال الناس وظروفهم ومستواهم الفكري والاجتماعي، وكيفية التعامل معهم بكفاءة وحكمة.

١١ ـ يجب أن تكون علاقة القائد بأفراد الجماعة علاقة الصداقة والمحبة، وليس معنى علاقة الصداقة أن يفقد القائد عن طريقها مركزه كقائد بين الأعضاء، أي أن تفقد احترامهم لك، واحترامك لنفسك، إن أي عضو في الجماعة دائما يتوقع احترام القائد لنفسه، وينظر إليه كمثل أعلى لهم يسعون لتحقيقه.

---

(١) البقرة ٢٢٠.
(٢) المائدة ـ ٥.
(٣) البقرة ـ ٢١٧.
(٤) الأنفال ـ ١.
(٥) الاسراء ـ ٨٥.
(٦) طه ـ ٨٠٥.

١٢ ـ القيادة الناجحة هي التي تقف وراء الأفراد في الأزمات، وتعرف أن لهم حقوقا لدى الجماعة لابد من تأديتها على أكمل وجه، كما أن القيادة الصالحة تملك القدرة على إدراك احتياجات الأفراد قبل المطالبة بها، وتحاول تأديتها والقيام بها.

المبحث الرابع
هل في الإسلام اتجاهات مختلفة
وهل يعرف الرأي الآخر؟

من المعلوم أن الإسلام جاء بنظام شامل كامل للحياة الإنسانية عقيدة وشريعة، دين ودولة، ثقافة وقانون. وكيف يمكن للإسلام أن يبتعد عن حركة السياسة والحكم إذا أراد تحقيق أهدافه في الحياة لتكون كلمة الله هي العليا بدون رجال وسياج للحق؟ إن نظام الإسلام الشامل ودولته المستقرة هو الذي يجعل الوصول إلى الهدف حالة واقعية ومعقولة.

ثم نقول: إن الإسلام كما هو معلوم جاء واضح الأصول والغايات، وهذا ما يجب أن لا يختلف فيه اثنان من المسلمين، ولكن هناك اجتهادات صحيحة متعددة تتحملها النصوص، وهناك طرق وأساليب لإصلاح الدنيا وإسعاد المسلمين في حدود الحلال كثيرة، وقد وكلها الرسول ﷺ إلينا فقال: «أنتم أعلم بشؤون دنياكم»[1] بما لا يخرج عن الحدود الإسلامية أو يعارض النصوص، فالنظر في الأشياء وإحكام الأمور، وسلامة الخطط يتفاوت من شخص إلى شخص آخر، ومن فكر إلى فكر، فهل إذا وجد من هو أصلح في الفكر والخطة، وأقدر في التنفيذ ورعاية المصالح وإحكام الأمور، وإدارة المرافق، وإسعاد الأمة، هل يمنعه شيء من إظهار خطته وبيان فكره، بل وتقليده الأمور؟ وهل إذا ظهرت معارضته للخطأ ومواجهته للمظالم، أو اعترض على خطة سيئة أو فاشلة أو ليست بالكفاءة المطلوبة، أو هل إذا حصل اعتراض على الفردية وعدم استعمال الشورى، أو الأنانية في صفوف المتصدرين للقيادة يكون ذلك ممنوعا أو مباحا؟

نقول: لا شك أن ذلك مما لا يمنعه الإسلام، بشرط أن لا يودي إلى فتنة، وأن يكون بالطرق التي شرعها الإسلام، قد يكون باتفاق على قانون إسلامي ينظم المعارضة، ويسمح للرأي الآخر، ويتيح للطاقات الفعالة في الأمة أن تؤدي دورها في العمل لصالح المسلمين.

---

(١) أخرجه مسلم في الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله رسول الله ﷺ شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي، وانظر جامع الأصول ١١/٧٦٤.

الجماعات الضاغطة:

المعارضة دائما تكشف العيوب لتقوم وتمنع، وتظهر القصور حتى يستكمل، وتطرح الرأي الآخر، والكادر الآخر، والفكر الآخر، والخطة الأخرى.

وهذا بلا شك قد يكون صوابا، وقد يكون خطأ عند المقابلة للرأي الآخر والكوادر السائدة في الأمة. والحكم بعد ذلك يكون لأهل الاختصاص، ولابد أن يحدث صراع، وهذا الصراع إما أن يكون صراعا مشروعا أو غير مشروع، فالبعض يرى أن جماعات المعارضة معوقة، وينادي بإزاحتها من الطريق، حتى لا تعوق السير، وتعطل المسيرة، وتؤثر على الرأي العام، والبعض الآخر يعتبرها علامة صحة على حرية الرأي، كما يعتبرها رقابة واعية على الرأي المقابل، وإثراء للعمل والفكر وخطة جديدة ربما تؤدي إلى تقدم أكثر، وإصلاح أعظم، ورؤية جديدة قد تستطيع أن تحل كثيرا من المشاكل، وتفتح آفاقا أرحب للعمل المجدي والأسلوب الأنفع والأجدى.

ولا يبدو أن هناك نهاية وشيكة للصراع بين القوتين في النظم الدكتاتورية والنظم السلطوية، لتفرد هذه السلطات بالرأي الشخصي والاعتزاز به، ولضعف الشعوب وتهاونها في حقوقها واستنامتها عن حريتها وتقدمها وصلاحها.

يقول لينين ـ مبررا كبت الآراء في الصحافة وغيرها ـ: لماذا تسمح الحكومة بحرية الصحافة وحرية التعبير؟ لماذا تسمح الحكومة التي تعمل ما تعتقد أنه سليم بنقد أعمالها؟ إن الأفكار لها قدرة تفوق قدرة البنادق.

وقد بدت هذه المشكلة في الحل عند النظم التي تتمتع بالشورى والحرية في اتخاذ القرار، والنظم التي تنشد الأفضل لشعوبها وتطلب التقدم لأممها. ورغم هذا وذاك فإن للجماعات قوى ضاغطة تستعملها في الوصول إلى أغراضها وتقوم بتنفيذها لتحقق ماتصبو إليه: منها

١ ـ الإقناع ـ إقناع الأفراد بخطة الجماعة، وإقناع الجماهير وبسط الحجج والبراهين وإظهار البدائل والوسائل، وبسط الجدوى، واقناع السلطة بمطالبها العادلة والمفيدة، وبخطتها، وبوجوب مراعاة المصالح العامة، وترك المصالح الشخصية، إلى غير ذلك، حتى تقتنع السلطة بقانونية المطالب وجدواها. وحتى تضطر أدبيا وشعبيا إلى تنفيذ المطالب المرادة.

٢ ـ التأثير على الرأي العام. بمخطط إعلامي مدروس، أو بتربية قاعدة عريضة لها وزن على كل الأصعدة.

أما عن المخطط الإعلامي فإن الأمم تظل محتاجة إلى نظام إعلامي قوي يشرح أهدافها، ويحمل أو يبسط فكرتها، ويعلن اقتراحاتها، وكلما كانت تقنيات الجهاز الإعلامي أفضل وأقدر، كان صوت الأمة أعلى وأرفع.

وتميل كل الجماعات المعارضة إلى الاستفادة من إتقان التقنيات الدعائية وحفظ دروس الإقناع الخفي، وبهذا يجري الانتقال لا شعوريا من الإعلام شبه الموضوعي إلى اغتصاب الفكر الهادىء، وإلى القضاء على إمكانات التفكير المستقل، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: (إن من البيان لسحرا). عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قدم رجلان من المشرق في زمان الرسول ﷺ فخطبا فعجب الناس لبيانهما فقال ﷺ (إن من البيان لسحرا)[1].

وفي رواية أبي داود عن بريدة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من البيان سحرا، وأن من العلم جهلا، وإن من الشعر حكما. وإن من القول عيالا» فقال صعصعة بن صوحان: صدق رسول الله ﷺ.

أما قوله: إن من البيان سحرا. فالرجل يكون عليه الحق، وهو الحن بحجته من خصمه، فيقلب ببيانه الحق إلى نفسه ـ لأن معنى السحر، قلب الشيء في عين الإنسان، وليس بقلب الأعيان. ألا ترى أن البليغ يمدح إنسانا حتى يصرف قلوب السامعين إلى حب الممدوح، ثم يذمه حتى يصرفها إلى بغضه.[2]

٣ ـ التهديدات بكشف الحقائق: بالحملات العدائية، بالإضرابات، بجمع التوقيعات، بأسقاط الوزارات، بتحريك النقابات والاتحادات، إلى غير ذلك من الوسائل المشروعة، والتي لا يحرمها القانون أو الشرع. ولا يمكن أن تتحول التهديدات إلى الفحش أو فضح الأعراض أو التجني إذا كانت الجماعة منضبطة بقانون أخلاقي.

---

(١) أخرجه البخاري ١٠/٢٠٢ في الطب، والترمذي رقم ٢٨٤٨/٢٠٢٩ في الأدب وأبو داود رقم ٥٠٠٧.

(٢) جامع الأصول ١١/٧٤٤ ابن الأثير، وانظر في ذلك أيضا ديناميكية الجماعة، جورج بيل في موضوع الجماعة الضاغطة.

٤ ـ رفض التعاون مع السلطة: وله أشكال معينة آخرها العصيان المدني، أو عدم تنفيذ الأوامر، أو الانسحاب من الحكومة إن كانوا مشاركين فيها، أو من المجالس التنفيذية أو التشريعية، إن كان ذلك يجدي، رفض الانتخاب، أو التأييد، إلى غير ذلك من أشكال التعاون.

٥ ـ عن طريق العمل داخل السلطة: عن طريق النواب أو عن طريق المجالس، أو عن طريق الوزراء المشتركين في الحكومة، أو عن طريق رؤساء المصالح التابعين للجماعة، إلى غير ذلك. وهذا وارد وترضخ له الحكومات ويحصل ذلك في كثير من الدول لإرضاء جناح من الأجنحة المشتركة مع السلطة.

٦ ـ الضغط المالي: كثير من الجماعات لها ثقل مالي لا تستطيع الحكومات تجاهله، فتضغط على السلطة بذلك الثقل المالي، ويتمثل ذلك في اليهود ومن على شاكلتهم من أرباب الأموال.

٧ ـ اختيار الوقت المناسب واللحظات الحرجة. عند الحملات الانتخابية، وعند الأزمات الجماهيرية، وعند الاستفتاءات، والكثرة العددية تعمل عملها في هذه الأجواء.

كما يجب إذا كانت الجماعة الضاغطة لها رصيد من القوانين الأدبية والإيمانية أن تلاحظ عدم تأثير الصالح العام بهذه الأشياء، وأن لا تؤدي أعمالها الى فتنة تؤثر على كيان الأمة وحاضرها أو مستقبلها السياسي والاقتصادي، وإنما تقصد إلى الحق والأنفع والأجدى بالسبل الكريمة.

المبحث الخامس
معايير تقييم الجماعات والأفراد

معايير الجماعات وتقييمها:

للجماعات عموما معايير معينة، وأفعال معروفة، وغايات محددة، تقيم على أساسها، وليس التقييم عاطفة أو ميل شخصي أو قومي أو جنسي، يرضي غرور الإنسان وقتيا، ويباعد بينه وبين تحليل تلك الجماعات تحليلا موضوعيا.

فمثلا في ظل الإسلام يدرك الإنسان ويعلم أنه في نطاق جماعة المسلمين لا خيار له ما دام مسلما، إلا أن يسير فيها ويعمل على تماسكها وتحقيق الغايات عن طريقها، ولكن إذا لم توجد هذه الجماعة كما قدمنا، ووجد المسلم جماعات متعددة كل منها تقول بالإسلام وترفع شعاره وتنادي بالرجوع إليه.... الخ.

فهل لكل فرد الحق في الانضمام إلى أي من تلك الجماعات والإنتماء إليها؟ أم لابد له من وقفة تأمل وتفكر واختبار ليعلم أي الجماعات تمثل الإسلام بشمولة، وتطرق الأسباب الصحيحة لتنفيذه وتربية الأمة عليه، ونشره في ربوع العالمين؟

هذا ما لا نحب أن نخوض فيه، لأنه ليس مجال بحثنا الآن، وإنما يجب أن نتكلم عن حيوية الأفراد في جماعة المسلمين كما يراه الإسلام، وتقييم الجماعة على هذه المقاييس الإسلامية. كما نحب أن نقيم في تلك العجالة الجماعة على أساس «ديناميكيتها» ونضجها في رؤيتها للوسائل المحققة للغايات، والمؤدية إلى الكفاءة في حمل الرسالة، ويمكن لأي جماعة استخدام هذه المعايير والوسائل كإطار تحلل وتناقش في نطاقه سمات النضج الخاصة بوسائلها، ومقدار الجودة لقنواتها من حيث تأدية الغرض المطلوب منها.

١ ـ فهم الأهداف والغايات فهما واضحا، بحيث يؤدي إلى قناعة كاملة، وتكوين عقيدة مستقرة دافعة.

٢ ـ كوادر قادرة على شرح الفكرة بأساليب منطقية، وحجج قوية، وبيان ما فيها من عظمة ونفع، وتكامل وحيوية.

٣ ـ استطاعة تكوين برامج فعالة وحلول للمشاكل التي تواجه الناس وتشغلهم، بحيث تؤدي إلى قناعات وتحمس لتلك البرامج وهذه الحلول.

٤ ـ إدراك أن الوسائل يجبب أن تنسجم مع الغايات، فالغايات الكبار تحتاج إلى رجال كبار ووسائل ذكية قادرة.

٥ ـ تواجه الواقع وتعمل على أساس من الحقيقة لا الخيال، فالأسباب محترمة وكل شيء له عدة، و«إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

٦ ـ إستخدام الأمكانات وقدرات الأعضاء استخداما ذكيا، واستخدام القوى الخارجية، بحيث يكون عند الجماعة القدرة على مغالبتها وتحويل تيارها والإستفادة منها بدرجات محسوبة.

٧ ـ توافق قيم الفرد مع قيم الجماعة، وآماله، مع آمالها «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»[1].

٨ ـ تأمين جو من الحرية النفسية للتعبير عن المشاعر ووجهات النظر، التي تؤدي في النهاية إلى استثمار الآراء الناضجة والمفيدة للفكرة والغاية والوسيلة.

٩ ـ قدرتها على إصلاح الخلل في أجهزتها، ومواجهة المشكلات بحزم وتحر وثقة في الوقت المناسب.

١٠ ـ الاهتمام بهموم أفراد الجماعة وحل مشاكلهم، يعطي الواقعية والحركية والأخوة، ويبعد عن الجماعة أسباب الفرقة والتمرد: « قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ».[2]

نرى سرعة نزول الحل لشكوى (خولة بنت ثعلبة) ومعالجة ما يستجد بين أفراد الجماعة المسلمة، كما نرى النبي ﷺ يقول: «أيها الناس من ترك مالا فلورثته ومن ترك كلًا فإليَّ»[3]

---

(١) شرح السنة للبغوي، ٢١٣/١

(٢) المجادلة ١ ـ ٢.

(٣) رواه أبو داود رقم ٢٩٠٠ في الفرائض، إسناده حسن.

١١ ـ أن يكون لها القدرة على اكتساب وابتكار طرق جديدة منتجة للعمل وتدريب الأعضاءعليها.

١٢ ـ أن يكون عندها القدرة على جعل التلاحم والتآخي بين الأفراد بعضهم مع بعض حقيقة معاشة وواقعا ملموسا، بحيث تذوب أنانية الشهوات بينهم. ورحم الله القائل: إني لألقم أخي اللقمة فأجد طعمها في حلقي: وصدق الله « وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ».[1]

١٣ ـ أن تدرك قيمة الشورى الحقيقية التي تتيح ظهور الرأي الآخر والإستفادة منه، والتي تتيح دائما تولي الأصلح للريادة، وانتقال السلطة بدون آثار سلبية على الأفراد والجماعة. قال ﷺ: «من ولي من أمر المسلمين شيئا، فأمر عليهم أحدا محاباة، فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، حتى يدخله جهنم».[2]

١٤ ـ تستطيع التعامل وبكفاءة عالية مع الجماعات الأخرى، ومع السلطة فيما لا يضر بمنهجها وأهدافها وأفرادها. قال ﷺ: «خيركم المدافع عن عشيرته مالم يأثم»[3].

١٥ ـ أن لا تفرق أو تحابي أحد الأعضاء على أحد: لقرابة، أو لعاطفة، أو لميل شخصي، وأن يكون الكل عندها سواسية كأسنان المشط. والأحاديث في هذا مستفيضة.

١٦ ـ أن تكون طرق الاتصال بين القاعدة والقمة ممتازة وميسرة، وأن تنزل القمة إلى القاعدة بغير تعال أو إرهاق، لتسمع وتلاحظ وتوجه وتراقب تنفيذ البرامج والتعاليم للوصول إلى الأهداف. وفي فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

---

(١) الحشر ـ ٩.

(٢) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، الترغيب والترهيب ٤٦٢/٣.

(٣) أخرجه أبو داود رقم ٥١٢٠ في الأدب، في العصبية. وفي سنده أيوب بن سويد، ضعفه أحمد وابن معين والنسائي.

الكثير من الأدلة على ذلك. وفي فعل الرسول الذي اقتدى به عمر والصحابة خير دليل «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم» الحديث[1].

١٧ ـ شعور كل فرد بالمسئولية وبالتبعات والتكاليف والمساهمة الفعالة في حملها فكريا وجسديا وحركيا وماليا.
«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[2].

١٨ ـ أن يكون قادة الجماعة أكفأ الناس في فهم هذه الديناميكية «الحركية» وأقدر الناس على تنفيذها وجعلها حقيقة يتعامل بها الأفراد.
والجماعات التي لا تتحقق فيها هذه المقاييس تتسم بعدم النضج وعدم اللياقة للقيام بالمهام الملقاة على عاتقها، لوهن بنائها، وضعف قدرتها، وضآلة مستواها الحركي والنوعي، ويجب أن تلتفت إلى نفسها حتى تكون على المستوى المطلوب.

أفراد الجماعة ـ نوعياتهم وقدراتهم:

تتكون الجماعة من أفراد، كما يتكون الجسم من أعضاء، إذا صلحت صلح الجسد وإذا فسدت فسد الجسد كله.

ويكون الأفراد أمام الجماعة ثلاثة اتجاهات: معوقين، ودافعين، ومتفاعلين. لأن العضو كفرد يعتبر عالما وحده، ويختلف عن أي عضو آخر في الجماعة، فقد يكون عنده قابلية التشكل وقد لا يكون، وقد يكون عنده مواهب أو مسالب، وقد ينفع غيره أو يعوقه، ولهذا وجب أن نلقي الضوء على شريحة أو قطاع من هؤلاء الأفراد.

لا شك أن كل فرد في الجماعة يأتي إليها ومعه اهتماماته الشخصية، ودوافعه الذاتية، وبواعثه النفسية، وتوقعاته وآماله المعينة، التي ربما يكون قد ترجمها إلى أهداف شخصية أو لم يكن قد ترجمها بعد، وكذلك فهو يأتي إلى الجماعة ومعه قيمه

---

(١) بعض حديث رواه البخاري ٧/١٢ الفرائض، ومسلم رقم ١٦١٩، والترمذي رقم ٢٠٩١، وأبو داود رقم ٢٩٥٥ في الخراج والإمارة، وتكملة الحديث «من ترك مالا فلأهله، ومن ترك ضياعا فإليّ وعليّ» وللأحاديث روايات أخرى بألفاظ متقاربة تؤدي إلى معنى واحد.

(٢) سبق تخريجه في ص١.

واتجاهاته وعاداته ومشاعره، وترسباته، وهذه الأشياء قد طبقها على نفسه لدرجة كبيرة، حتى أصبحت عنده أشياء غريزية أو أموراً من المسلمات، فهو يحاول ان يطبقها على أفراد الجماعة وعلى الجماعة ككل.

كذلك فهو يحمل معه أنماط حياته وسلوكياته وإخفاقاته، وبعض القوى الأخرى التي لا تظهر إلا في تعاملاته وتكيفاته.

وقد تشير كثير من محاولات أعضاء الجماعة إلى إشباع الحاجات الفردية التي لا علاقة لها بمطالب الجماعة، أو التي لا توجه نحو بناء الجماعة والمحافظة على كيانها، وإنما توجه إلى تسخير الجماعة وإمكاناتها إلى السير في فلكه الشخصي، وهذا شيء خطير يستدعي من الجماعة القيام بأمور، منها:

الأول: القيام بفحص ذاتي وتقويم لسير الجماعة والأفراد نحو الأهداف الحقيقية للجماعة، فقد يكشف هذا التشخيص عن وجود حالات مسببة للانحراف، أو تحمل بذوره.

الثاني: اكتشاف الوسائل التي تسمح بمرور هذه الأفكار وعدم الانخداع بها وإصلاحها بسرعة وكفاءة. مثل انخفاض مستوى التربية أو الثقافة الفكرية، أو ذكاء القادة، أو انخفاض مستوى النظام السائد، كانتشار الاتجاهات الاستبدادية، أو عدم وضوح الخط الفكري والعملي والتنظيمي للجماعة، وعدم تحديد ذلك تحديدا دقيقا.

الثالث: التربية الدائمة ومحاولة تحسين نوعية الأفراد وتحصينهم ضد الانحرافات وضد التأثر بالأفكار الدخيلة والنزعات الغريبة، وتربية كوادر موجهة تقوم بعمل المولد للطاقة والموجه إلى الفكر السليم والخط المستقيم.

هذا وقد اكتشفت القيادات الجماعية بعض النوعيات المصابة بأمراض فتاكة والتي قد تصيب الجماعات، وتفعل فيها فعل الوباء، من هذه النوعيات:

(١) العدواني:

قد يكون سلوك شخص ما في الجماعة سلوكا عدوانيا، بمعنى أنه يقلل من شأن الأعضاء الآخرين، أو يعبر عن معارضته لقيم وأفعال ومشاعر الآخرين، أو يهاجم الجماعة، أو المشكلة التي تقوم بمناقشتها لمجرد المخالفة، أو يظهر غيظه ونقده

لنجاح الآخرين «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ». (١)

«ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ» (٢) عاب القرآن هذا التصرف الكريه من هؤلاء الناس ورتب على ذلك عقوبة.

(٢) المعوقون:

والمعوق يميل إلى السلبية، وإلى إظهار مقاومته ومعارضته لما يقدم بإصرار شديد دون إبداء الأسباب، وبطريقة غير عقلية أو منطقية، ويدعو إلى استمرار المناقشة في كل موضوع تطرحه الجماعة بدون الوصول إلى نتيجة، أو إعادة فتح المناقشة بعد أن تكون الجماعة قد اتخذت قرارها الأخير في ذلك.

فهو بذلك يجب أن يعطل كل عمل للجماعة: إما سترا لعجزه أو اخفاء لجبنه. قال تعالى: «قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ» (٣)

(٣) الباحثون عن التقدير، والمعتزون بذواتهم فقط:

وهذا الصنف يتبع طرقا مختلفة لجذب الأنظار إليه، ويقوم بأفعال غير سليمة تدل على الحاجة إلى الظهور، كما يحب المدح والثناء وينتشي بذلك. ويتحدث عن

---

(١) الحجرات - ١١.
(٢) التوبة - ٧٩.
(٣) الأحزاب - ١٨ - ١٩.

نفسه في فخر وزهو: وقد قال الحق سبحانه « فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ »[1] وقال تعالى: « أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ».[2]

وفي الصحيحين: أن رسول الله ﷺ، سمع رجلا يثني على رجل فقال: «ويحك، قطعت عنق صاحبك». ثم قال: «إن كان أحدكم مادحا صاحبه فليقل: أحسبه كذا، ولا يزكي على الله أحدا».[3]

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «ان أخوف ما أخاف عليكم إعجاب المرء برأيه، فمن قال: إنه مؤمن فهو كافر، ومن قال: هو عالم فهو جاهل، ومن قال: هو في الجنة فهو في النار».[4]

وهذا الصنف من الناس دائما ما يغمط الآخرين، ولا يعترف بخير يأتي على يدي إنسان غيره، وينتقص الآخرين دائما لإعلاء نفسه.

(٤) المتسلط

وهو الذي يحاول دائما تأكيد سلطته وإحكام قبضته على الجماعة، كما يجنح دائما إلى السلوك الاستبدادي، والذي يعتبره هو الأسلوب الأمثل في معالجة الأمور، فهو يمقت الشورى والرأي الآخر والنقد والتوجيه والنصيحة.

عن تميم الداري قال: قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة: لله ولكتابه ولنبيه ولأئمة المسلمين وعامتهم»[5]

وقال جرير بن عبدالله: «بايعت النبي ﷺ على النصح لكل مسلم».[6]

---

(١) النجم ـ ٣٢.
(٢) النساء ـ ٤٩.
(٣) ابن كثير ٥١٢/١ ط المعرفة وقال في الحديث: روي في الصحيحين.
(٤) رواه مسلم، الإيمان ـ ٥٥ ٥٣/١.
(٥) رواه البخاررري ٢٢٩/٥. ومسلم في الإيمان ـ ٥٦ باب الدين النصيحة.

وقال ﷺ «إن أحدكم مرآة لأخيه، فإذا رأى به شيئا فليمط عنه»[1]
وقال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»[2].

(٥) أصحاب المصالح الخاصة:

نفعي يسير وراء مصالحه الخاصة، وفيه نقول:
«لا يريد أن يبذل معونته إلا إذا عرف ما يعود عليه من فائدة، وما يجره هذا البذل له من مغنم، فنقول له: حنانيك ليس عندنا من جزاء إلا ثواب الله ـ إن أخلصت ـ، والجنة إن علم فيك خيرا».[3] وفي هذا يقول الرسول ﷺ في الحديث القدسي: قال الله تبارك وتعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشريك، فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء، هو للذي عمله».[4]

(٦) المتثاقلون:

وهم الذين يتثاقلون عن العمل مع إيمانهم بلزومه ورضاهم عنه، لركونهم إلى الدنيا ركونا قد يخفى عليهم، أو يعلل بشيء آخر، وقد حذرنا الله من هذا التثاقل قال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ».[5]

---

(١) أخرجه الترمذي رقم ١٩٣٠، وأبو داود رقم ٤٩١٨، وإسناده حسن. كما قال العراقي. شرح السنة للبغوي ١٣/٩٢.
(٢) الحميدي ٦/٣٥٤، شرح السنة للبغوي ١٣/٢٤٦.
(٣) مجموع الرسائل/ للإمام حسن البنا ـ ١٠٨.
(٤) أخرجه مسلم رقم ٢٩٨٥، وابن ماجه رقم ٤٢٠٢.
(٥) التوبة ٣٨ ـ ٣٩.

(٧) اليائسون:

وهم جماعة ليسوا على مستوى الغايات والأهداف، وليس عندهم القدرة على القيام بالأعباء أو مواصلة الطريق، كما أنهم لا يشعرون بقوة الحق ولطف الله ومدده، يخفون ضعفهم، ولكنه يظهر على شفاههم وفي تصرفاتهم، يهتمون بأنفسهم ويخافون على ذواتهم من التضحيات ومن المشقة، ضجرين بغير أعباء، يائسين من غير محن، متشككين بغير أسباب:

قال الحق سبحانه وتعالى فيهم: « وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ »[1].

(٨) المنافقون:

وهؤلاء صنف من الناس لا يمكن تبين نباتهم بسهولة، إذ أن ظاهرهم فيه الرحمة، وباطنهم فيه العذاب « وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ »[2].

وهذا الصنف يجمع خبائث الأصناف السابقة وعليها مزيد، وكشفه يحتاج إلى حنكة، قال تعالى «أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَىٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ».[3]

---

(١) آل عمران ـ ١٥٤.
(٢) البقرة ـ ١٤.
(٣) محمد ٣٠ ـ ٣١.

واجبات الفرد المسلم نحو الفكرة والجماعة:

لا شك أن الجماعة تعتمد اعتمادا كبيرا على أفرادها، وعلى أفكارهم، وعزائمهم، وجهودهم، والجماعة الإسلامية ليست كأي جماعة، وفردها ليس كأي فرد، فهي جماعة لها خصائصها ومقوماتها وأهدافها المتميزة، وأفرادها لهم صفاتهم وعزائمهم وأهدافهم، ولهذا لابد أن تتوافر فيهم صفات معينة، تعتبر ركائز لرجل الجماعة العامل المخلص، وقد وضح ذلك كبار العلماء في هذا الشأن: من هذه الصفات:

١ ـ الفهم للمنهج:

أن يوقن عن دراسة واقتناع أن جماعته تحمل فكرة الإسلام الجامعة الشاملة، بنظامها الشامل الذي يتناول مظاهر الحياة جميعا، فالإسلام دولة ووطن، أو حكومة وأمة، وهو خلق وقانون، أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون، أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة، أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة، أو جيش وفكرة. كما هو عقيدة صادقة، وعبادة خاشعة.

٢ ـ الإخلاص العميق:

أن يقصد الفرد بعمله وجهاده كله وجه الله وابتغاء مرضاته وحسن مثوبته، من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه أو لقب. وهكذا جندي العقيدة لا يأكل بدينه، ولا يجعل المال أو الجاه غايته ومقصده ومطلوبه، وإنما يجعل كل ذلك في سبيل دعوته «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ». (١)

٣ ـ العمل المنتج:

أن يدرب نفسه على القيام بدوره المطلوب بكفاءة وواقعية، حتى يكون لبنة لها دورها المؤثر في الجماعة، قال تعالى: « وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ »(٢).

---

(١) الأنعام ـ ١٦٢.
(٢) التوبة ـ ١٠٥.

ومراحل العمل المطلوب:

أ ـ إصلاح نفسه: حتى يكون قوي الجسم، متين الخلق، مثقف الفكر، سليم العقيدة، صحيح العبادة، مجاهدا لنفسه، حريصا على وقته، منظما في شئونه نافعا لغيره.

ب ـ تكوين البيت المسلم، بأن يحمل أهله على احترام فكرته، والمحافظة على آداب الإسلام، في كل مظاهر الحياة « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ».[1]

جـ ـ إرشاد المجتمع ونشر دعوة الخير فيه، ومحاربة الرذائل والمنكرات، وكسب الرأي العام إلى جانب الفكرة الإسلامية، وصبغ مظاهر الحياة العامة بها.

د ـ تحرير الوطن في كل سلطان أجنبي، وغير إسلامي سياسي أو اقتصادي أو روحي.

هـ ـ إصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق، تؤدي مهمتها كخادمة للأمة وأجيرة عندها. « وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ».[2]

حتى تعيد كيان الأمة الدولي، وتحيي مجدها، وتجمع كلمتها، حتى يؤدي ذلك كله إلى إعادة الخلافة الإسلامية وجماعة المؤمنين التي تتبوأ أستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام في ربوعه، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره. وما جاء في فقرة ـ جـ ـ د ـ هـ ـ تجب على الجماعة الإسلامية متحدة وعلى كل فرد باعتباره عضوا في الجماعة المسلمة.

٤ ـ التضحية والثبات؛

والتضحية هي: بذل المال والوقت والحياة في سبيل الغاية، وصدق الله «إِنَّ

---

(١) التحريم ـ ٦.
(٢) المائدة ـ ٤٩.

ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ »[1] « قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ » الآية[2]، « ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ »[3] الآية.

ونريد بالثبات ثبات أصحاب العقائد على الحق المبين، ذلك الثبات الذي يزلزل الجبال، ويثبت في وسط العواصف، وصدق الله «وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ »[4]. « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »[5].

ثبات رجال الإيمان «مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا »[6].

٥ ـ التجرد والأخوة:

والتجرد: هو التخلص من كل ما سوى أهداف الجماعة من المباديء والأفكار والأشخاص، والبراء من كل ما يعاديها أو يعارضها.

التجرد القلبي: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فأما حب القلب وبغضه وإرادته، وكراهته، فينبغي أن تكون كاملة جازمة، لا توجب نقص ذلك إلا بنقص الإيمان. . . .

ذلك أن من الناس من يكون حبه وبغضه وإرادته وكراهته بحسب محبة نفسه وبغضها، لا بحسب محبة الله ورسوله، وبغض الله ورسوله. وهذا نوع من الهوى،

---

(١) التوبة ـ ١١١.
(٢) التوبة ـ ٢٤.
(٣) التوبة ـ ١٢٠.
(٤) آل عمران ـ ١٤٦.
(٥) آل عمران ـ ٢٠٠.
(٦) الأحزاب ـ ٢٣.

فإن اتبعه الإنسان فقد اتبع هواه « وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ »[1].

التجرد العملي: قال تعالى « أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا »[2] « إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ »[3].

وأما الأخوة: فإنما المراد بها أخوة الإيمان التي تربط بين الأرواح والقلوب برباط العقيدة، فهي أجل الروابط وأوثق العرى، ولا جماعة بغير حب وأخوة، ولا حب أو أخوة إلا بسلامة صدر ومودة وإيثار، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية: «وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ »[4] «والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».[5]

---

(١) الآية من سورة القصص ـ ٥٠، وحديث ابن تيمية شذات البلاتين ١/٣٥٤ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والولاء والبراء ص١٣٩.

(٢) النساء ـ ٦٠.

(٣) النور ـ ٥١.

(٤) التوبة ـ ٧١.

(٥) البخاري: صلاة ـ ٨٨، مظالم ٥، الترمذي بر ١٨.

المبحث السادس

ديناميكية أفراد الجماعة[1]:

لا شك أن هناك دوافع وقوى معينة تدفع الأفراد إلى الحركة وإلى النشاط وإلى الإبداع والإنتاج والتقدم في كل ما تتطلبه الحياة العزيزة الراشدة، وكل ما يدفع الجماعة قدما نحو أهدافها وغاياتها المرجوة والمرادة. من هذه الدوافع:

١ ـ العقيدة الصحيحة الحية المتقدة.
٢ ـ المواهب وإحسان توجيهها.
٣ ـ الطاقات والقوى الطبيعية.
٤ ـ العقول السليمة والثقافات والخبرات.

هذه الدوافع تدير ديناميكية الجماعة إدارة مبهرة إذا استعملت استعمالا صحيحا ومنتجا.

(١) أما عن العقيدة الحية:

فقد وجدنا كيف أحيت العقيدة نفوسا همدت ورمت، وفتحت قلوبا غلفا، وأنارت أعينا عميا، وأسمعت آذانا صما.

«أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها» «استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم» رأينا كيف دفعت هذه العقيدة رجالا إلى التضحية بكل شيء في سبيل عقيدتهم وإسلامهم «إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ».[2]

فضلوا أخوة الإيمان ووشيجة العقيدة على كل أخوة ووشيجة، عن ابن شوذب قال: جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح يتصدى لابنه أبي عبيدة رضي الله عنه يوم بدر، فجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله. فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية حين قتل أباه:

---

(١) حركيتهم وحيويتهم الفاعلة.
(٢) التوبة ـ ١١١.

« لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ».[1]

وهذا مصعب بن عمير، وجد أخاه أبا عزيز في الأسارى، ورجل من الأنصار قد أسره، فقال مصعب للأنصاري: شدَّيدك به، فإن أمه غنية تفديه منك بالمال الكثير، فقال أبو عزيز: أهذه وصاتك بي؟! فقال مصعب: إنه أخي دونك!! فسألت أمه عن أغلى ما فدي به قرشي فقيل لها: أربعة آلاف درهم. فبعثت بها وفدته.[2]

وهذه أم حبيبة رضي الله عنها، دخل عليها أبو سفيان بن حرب والدها في المدينة، فأراد أن يجلس على فراش رسول الله فطوته دونه، فقال: يابنية، أرغبت بهذا الفراش عني؟ أم رغبت بي عنه؟ فقالت: أنت امرؤ مشرك نجس، وهذا فراش رسول الله ﷺ، فقال: يابنية، لقد أصابك بعدي شر![3]

(٢) وأما عن المواهب وإحسان توجيهها:

إحسان توجيه المواهب والطاقات يثري الجماعة ويدفع بها الى الأمام، ويحقق الغايات الكبار. فكل إنسان يحظى بموهبة خلقه الله تبارك وتعالى بها، فإذا صادفت من ينميها ويربيها سمت وارتفعت، وأضاءت وازدهرت، وإذا لم تجد من يتعهدها ذبلت وخبت، كما تذبل الزهرة إذا فقدت الماء والهواء. وتسربت كما تتسرب رائحة الوردة الذابلة.

وقد نمت المواهب في ظل الإسلام، وتعهدها رسول الله ﷺ وأثرت الجماعة المسلمة، وأضاء نورها العالمين، وليس كل قائد أو زعيم يستطيع بناء الرجال ليكونوا مستقبلا زاهرا لأممهم وعقائدهم.

وإذا أردنا أن نعرف الفرق بين القائد الحق الناجح، والقائد المزيف الخرب، فلننظر إلى عمله في توجيه الطاقات، والاستفادة من المواهب وإطلاق العقول.

---

(١) المجادلة ـ ٢٢، انظر ابن كثير في تفسير الآية جـ ٤/٣٢٩، ط دار المعرفة بيروت.
(٢) البداية والنهاية ـ ٣/٣٠٧.
(٣) سيرة ابن كثير ٣/٥٣٠ ط عيسى الحلبي، تحقيق مصطفى عبدالواحد.

وقد وجدنا قادة وزعماء كان كل همهم قتل المواهب وتبديد الطاقات، وتقريب الإمعات والمنافقين، وأصحاب الحناجر، وأشباه الرجال، وتفضيل الأغبياء والمهرجين والعجزة. فكانت النتائج مؤسفة ومخزية ومخيبة للآمال.

ووجدنا قادة استطاعوا أن يبنوا أممهم وينتشلوا شعوبهم من وهدتها، ولنضرب مثلا بسيد القادة وأمير الأنبياء ﷺ، ولننظر في عجالة كيف وجه الطاقات، وأخرج كوامنها ونمى المواهب وأضاء جوانبها، وربى العقول وأطلقها من عقالها.

عرف ﷺ أن كل إنسان له موهبة في زاوية من زواياه، وله مسالب في زاوية أخرى، فاستفاد بكل طاقة تلك المواهب في زاويتها الخاصة بها. استفاد من مواهب الدعوة، ومواهب الشجاعة، ومواهب الخطابة والشعر، ومواهب التجارة والغنى، ومواهب القيادة والريادة، ووضع كلا في مكانه، ليؤدي دوره المطلوب.

ـ كيف استعمل الدعاة وانتقاهم فكان مصعب بن عمير الذي أسلمت على يديه المدينة المنورة، ومعاذ بن جبل الذي ذهب إلى اليمن، وغيرهم من الدعاة والقراء من أهل الصفة وغيرهم.

ـ وكيف أطلق مواهب الخطباء والشعراء الذين كانوا يدافعون عن الدعوة، وكانوا جهازها الإعلامي الممتاز. فكان ثابت بن قيس الخزرجي وغيره من الخطباء، وكان حسان بن ثابت وغيره من الشعراء. فعندما أتى وفد بني تميم إلى رسول الله ﷺ قالوا: يامحمد، جئناك نفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا. قال: قد أذنت لخطيبكم فليقل. فقام عطارد بن الحاجب فقال، فأمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس أن يرد عليه، فرد عليه، ثم قام شاعر بني تميم فقال. فأمر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت أن يرد عليه، فغلب خطيب رسول الله خطيبهم، وشاعر رسول الله شاعرهم.

وكان حسان بن ثابت شاعرا، فاستفاد الرسول من شعره في الدفاع عن الإسلام، ولكنه كان يتركه مع النساء عندما يخرج للقتال:[1]
وكان ﷺ يقول «إن شعرك أشد عليهم من وقع السهام». وعرف الرسول ﷺ مواهب الشجاعة في المؤمنين صغارا وكبارا فتعهدها.

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٢٤٦.

وكان علي، وكان حمزة، وكان أسامة بن زيد، وكان سعد، وكان المقداد، وغيرهم.

بل كان الرسول ﷺ يستدعي القادة من صفوف المشركين ليستثمر مواهبهم. فنراه يذكر خالد بن الوليد ـ وهو مشرك ـ فيقول لأخيه الوليد: أين خالد؟ ثم قال: ما مثل خالد يجهل الإسلام، ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين لكان خيرا له، ولقدمناه على غيره».[1]

فكتب الوليد بذلك إلى خالد، فكان ذلك سببا في إسلامه، وقدم خالد المدينة في أول يوم من صفر سنة ثمان من الهجرة.

قال خالد: «فلما طلعت على رسول الله ﷺ، سلمت عليه بالنبوة، فرد عليَّ السلام بوجه طلق، فأسلمت، وشهدت شهادة الحق. فقال رسول الله ﷺ: قد كنت أرى لك عقلا رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير. وبايعت رسول الله ﷺ... فوالله ماكان رسول الله ﷺ يوم أسلمت يعدل بي أحداً من أصحابه فيما يحزبه»[2].

وكان عثمان بن عفان تاجرا غنيا فأفاد منه ومن ثرائه هو وعبدالرحمن بن عوف وغيرهم من المسلمين، في مقابلة اليهود لصالح الدعوة والمسلمين، فابتاع عثمان للمسلمين مربدا بعشرين ألفا، وابتاع للمسلمين بئر رومه، وجهز جيش العسرة، حتى ما يفقدون عقالا ولا خطاما[3]، ولم نسمع أن الرسول ﷺ كلف عثمان بمنازلة الأقران في الحرب.

كما أفاد الرسول ﷺ من كل الرجال حتى من مكر الدهاة في الحرب، فهذا الحباب بن المنذر في بدر يشير على رسول الله ﷺ ويقبل الرسول مشورته.

وهذا نعيم بن مسعود يأتي الى الرسول ﷺ مسلما في غزوة الأحزاب، ويعرف الرسول حيلة نعيم وصلته الوثيقة بالعرب والقبائل. فيضعه في موضعه، ويقول له ﷺ: إنما أنت رجل واحد فخذل عنا، فالحرب خدعة».

ويقوم نعيم بن مسعود بالدور المطلوب ويفلح فيه ـ وهو له أهل ـ وتقع الفرقة بين الأعداء وينخذلون عن المسلمين، ويستمكن المؤمنون من اليهود الغادرين.

---

(١) طبقات/ بن سعد ٣/٣٩٤.
(٢) طبقات/ بن سعد ٤/٢٥٢، و٧/٣٩٤.
(٣) سنن النسائي ـ ٢/١٢٤.

(٣) أما عن القوى الطبيعية:

فإن لبعض الناس نفوسا مؤثرة، وكلمات نافذة، وشخصيات آسرة. «والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»[١] وكان ﷺ يحب هذا الصنف، وكان يستدعيه ويدعو الله أن يهديه، حتى يكون رجلا في الحق وهو القائل: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا».

فكان ﷺ يقول: اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين. وعرف الرسول ﷺ كيف يستغل هذه النفوس صاحبة التأثير والنفوذ، ليعزّ بها دعوته ويحمي بها رجاله وجنده، والقائد الحق يرتاد لدعوته.

وزاد الإسلام هذه النفوس قوة على قوة وتأثيرا على تأثير، وأفاد منهم، وفتح بهم، وكانوا الأمراء والخلفاء والقادة الذين أدهشوا العالم وأذهلوه، ومازال صداهم في التاريخ وأثرهم في الأمم لعقلهم، وألمعيتهم وفراستهم:

عرفنا الليالي قبل مانزلت بنا
فلما دهتنا لم تزدنا بها علما

وصدق الله: «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم»[٢]

فإذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها، وترادفت الضوائق وطال ليلها، قام لها رجال فأطلعوا فجرها، وأضاءوا شمسها، وعدلوا ميزانها.

(٤) أما عن العقول والثقافات:

الثقافات للعقول كالحياة للإنسان، والعقول المثقفة كالأرواح للجماعات، وكالأعمدة للحضارات والدعوات، ولن تجد الجماعات والدعوات وقودا يضيء الطريق إلا عند أصحاب المعارف الناضجة، والألباب الحصيفة، وما هلاك الأمم وضياع الأهداف إلا نتاج الغباء والجهل. « وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ »[٣]

---

(١) مسلم.
(٢) محمد ـ ٣١.
(٣) الملك ـ ١٠.

وقال تعالى « وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ».[1]

وكان الرسول ﷺ يوجه الطاقات العلمية لخير الإسلام والمسلمين، والدعوة إلى الله، ومعرفة ما يحيط بالمسلمين.

فقد أمر الرسول ﷺ «زيد بن ثابت» بإجادة السريانية: قال زيد: أمرني رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهود بالسريانية. وقال: «إني والله ما آمن يهود على كتابي» قال زيد: فوالله مامر بي نصف شهر حتى تعلمته وجدت فيه. فكنت أكتب له إليهم واقرأ له كتبهم إليه».[2]

وفهم لغات الشعوب من ضرورات الإسلام، فإن رسالة الإسلام جاءت إلى الناس قاطبة، وجمع الناس على لغة واحدة مستحيل.

إذن فالجماعات اليوم والشعوب الآن لابد لها من استثمار عقولها وثقافتها لتقدمها ونجاحها، لاسيَّما في هذا العصر الذي بلغ العلم فيه حد الإعجاز.

---

(١) العنكبوت ـ ٤٣.

(٢) البخاري ١٣/١٦١، وأبو داود رقم ٣٦٤٥ في العلم، والترمذي رقم ٢٧١٦، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح الإسناد.

قائمة المراجع

اسم الكتاب	المؤلف	الطبعة
١ـ الأحكام السلطانية	الماوردي	المكتبة التوثيقية
٢ـ أسس علم الاجتماع	د. حسن شحاتة	دار النهضة العربية ط الخامسة ١٩٦٠م
٣ـ الاعتصام	الشاطبي	المعرفة ـ بيروت
٤ـ الإنسان والصحة النفسية	د. مصطفى فهمى	مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٠م
٥ـ البداية والنهاية	ابن كثير	المعرفة ـ بيروت
٦ـ تذكرة دعاة الإسلام	المودودي	المنار ـ الكويت ١٩٨٣م
٧ـ تفسير ابن كثير	ابن كثير	المعرفة
٨ـ تفسير الطبري	الطبري	دار الكتب الحديثة
٩ـ تهذيب الرياسة وترتيب السياسة		المنارـ الزرقاء
١٠ـ الجامع الكبير أو جمع الجوامع	السيوطي	الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م
١١ـ الخائفون من الإسلام	د. محمد نعيم ياسين	العدوي
١٢ـ الدعوة إلى الله	د. توفيق السدان	مكتبة الفلاح ـ الكويت ١٩٨٧م
١٣ـ ديناميكية الجماعات	چورچ پيل	البيان
١٤ـ الروض الآنف	السهيلي	الكليات الإزهرية
١٥ـ السياسة الشرعية	ابن تيمية	دار المعرفة
١٦ـ سيكلوجية العلاقات الاجتماعية	د. ماهر محمود عمر	دار المعرفة الجامعية ١٩٨٨م ـ مصر
١٧ـ السنن لابن ماجة	تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي	دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٢م
١٨ـ سنن أبي داوود		شركة الطباعة الفنية المتحدة القاهرة ١٩٦٤م
١٩ـ سنن الترمذي	تحقيق محمد أحمد شاكر	مطبعة مصطفى الحلبي القاهرة ١٣٥٦ـ١٩٣٧
٢٠ـ صحيح البخاري ـ فتح الباري		السلفية ـ القاهرة
٢١ـ صحيح مسلم ـ شرح النووي	الإمام النووي	المطبعة المصرية ومكتبتها
٢٢ـ طبقات إبن سعد	ابن سعد	الشعب
٢٣ـ عقول المستقبل	جون ج تايلور	عالم المعرفة ـ الكويت، ١٩٨٥
٢٤ـ علم النفس التربوي	د. المجيد عبدالرحيم	مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨١م
		الطبعة الثانية
٢٥ـ علم النفس في حياتنا اليومية	د. محمد عثمان نجاتي	دار النهضة العربية، الطبعة الخامسة ١٩٦٦م
٢٦ـ فيض القدير شرح الجامع الصغيرالمناوي		دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٢م

٢٧ـ المدخل إلى علم الصحة النفسية	د. كمال إبراهيم مرسي	دار القلم، الكويت، ١٩٨٨م
٢٨ـ المدخل إلى العلوم السلوكية	د. سيد خيرالله	عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٤م
٢٩ـ المرشد النفسي	د. ماهر محمود عمر	دار النهضة العربية، مصر، ١٩٨٤م
٣٠ـ مسند الإمام أحمد	الإمام أحمد	المكتب الإسلامي، الطبعة الاولى ١٩٦٢م
٣١ـ المصنف	ابن أبي شيبة	مطبعة العلوم الشرقية، الهند، ١٩٦٨م
٣٢ـ مع الله، دراسات في الدعوة	محمد الغزالي	دار الكتب الإسلامية توفيق عفيفي
٣٣ـ معالم في الطريق	سيد قطب	دار القلم
٣٤ـ معركة الإسلام	محمد الصواف	المعرفة
٣٥ـ ملامح علم نفس إسلامي	د. ماهر محمود عمر	دار النهضة العربية، ١٩٨٣م
٣٦ـ نظريات التعلم	جورج م. غازوا ترجمة علي حسين حجاج	دار المعرفة، الكويت ١٩٨٦م

تقرير
عن الدورة الأولى للعلوم الشرعية
التي أقامها المركز الدولي للعلوم الإسلامية
في آو جسبورغ بألمانيا الاتحادية

للدكتور محمد حسن هيتو

لقد دعيت من قبل المركز الدولي للعلوم الإسلامية في مدينة آوجسبورغ في ألمانيا الاتحاديه، للمشاركة في دورته الأولى للعلوم الشرعية، بإلقاء عدد من المحاضرات في الفقة الإسلامي على الطلبة المشاركين فيها، خلال فترة انعقاد الدورة من الجمعة ٨٩/١٢/٢٢ إلى ١٩٩٠/١/٣م.

وقد اختيرت هذه الفترة، لأنها الفترة التي يشترك فيها كل الطلاب في جميع أنحاء أوروبا بعطلة أعياد الميلاد ورأس السنة، مما يتيح الفرصة لأكبر عدد بالحضور دون عوائق،

مكان الدورة وزمانها:

وقد بدأت الدورة بالفعل صباح يوم الجمعة ٢٤ جمادى الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩/٢٢/٢٢م في مقر المركز الإسلامي الثقافي الإعلامي في آوجسبورغ، إذ كان قد أصر على أن تعقد الدورة في مقره، مستضيفا لها.

الطلاب المشاركون:

وقد شارك في الدورة عدد من الطلاب المسلمين، من جنسيات مختلفة، وديار متنائية، ممن يقيم في أوروبا، إما للدراسة، أو العمل، إقامة دائمة، أو مؤقتة، ومنهم من تجنس بجنسية أوروبية وصار من أهل البلاد التي يقيم فيها، فمن ذلك:

١ ـ طلاب من هولندا.
٢ ـ طلاب من ألمانيا.

٣ ـ طلاب من السويد.
٤ ـ طلاب من الدانيمارك .
٥ ـ طلاب من آيسلند.

برنامج الدورة:

لقد كانت إدارة المركز حريصة على أن يدرس الطلاب الذين حضروا كتابا كاملا في كل فن من الفنون التي طرحها، مما يمكن أن يدرس في تلك الفترة الوجيزة، حتى تكون الدراسة مجدية ونافعة. بحيث يطلع الطالب على كل مباحث الفن الذي سيدرسه، ولو كان في غاية الاختصار، إذا كانت الدورة للمبتدئين، ومن ثم يعقد المركز دورات متقدمة تطرح فيها كتب موسعة، لمن يريد الاستزادة، ممن ينجح في امتحان الدورة الأولى، أو يكون على استعداد للامتحان بمناهجها.

وقد طرح المركز في هذه الدورة العلوم الآتية:
١ ـ الفقه.
٢ ـ الحديث.
٣ ـ مصطلح الحديث.
٤ ـ النحو.
٥ ـ التجويد.
٦ ـ الثقافة الاسلامية العامة.

إنجاز برنامج الدورة:

لقد كان من المتوقع ألا يتمكن الأساتذة من إتمام برنامج الدورة، وتدريس الكتب الكاملة خلال تلك الفترة القصيرة، رغم كثافة البرنامج والدروس.

لأن المادة العلمية مهما كانت مبسطة ومختصرة فلابد لها من شرح وبيان.

إلا أن الأمور جرت ـ بتوفيق الله ـ حسب الخطة المرسومة، فتمكن جميع الأساتذة من إنهاء الكتب التي قاموا بتدريسها، في الوقت المحدد لها.

ربما ساعد على هذا اهتمام الطلاب وجدهم، فقد وجدنا منهم إقبالاً منقطع النظير، ماعهدناه حتى في طلاب كليات الشريعة.

وقد كان الطلاب جميعا حريصين على كتابة تاريخ بدء الدراسة في الكتاب المقرر، وساعة ويوم الانتهاء منه، ويذيلون هذا بتوقيع المدرس وإقراره بأنهم درسوا معه مادة الكتاب، وسمعوها منه، على طريقة الإجازة المعلمية في السلف الصالح رضوان الله عليهم.

الجوائز :

وقد رصد المركز جوائز مالية قيمة للفائز الأول، والثاني، والثالث، بمجموع درجات العلوم التي درسها، شريطة أن لايقل معدله في واحدة منها عن ٦٠٪.

أهمية هذه الدورة:

لقد كان لهذه الدورة أهمية بالغة في نفس كل من سمع بها أو حضرها في أوروبا.

وذلك لشدة احتياج الناس إلى معرفة دينهم، من خلال علومه التي أوشكت على الضباع في ديار الإسلام بشكل عام، وفي أوروبا بشكل خاص.

إن عدد المسلمين في أوروبا اليوم يزيد عن خمسة عشر مليونا، ولو قلنا: إنه لايوجد فيهم العالم المتقن بدون استثناء لما قلنا إلا حقا.

ولذلك صار الناس هناك أشبه بأهل الفترة في كثير من الأحكام الشرعية.

والرجل الجيد الملتزم هو الذي يحرص على نقل ابنه إلى مركز من المراكز الإسلامية، لساعتين يومي السبت والأحد، ليتعلم شيئا من الكلام العربي والقرآن.

وكثير منهم من لايعرف لغة العرب ولا تلاوة القرأن، وإنما يحفظ الفاتحة ليصحح صلاته فقط . . .؟؟!

وكثير منهم قد ذاب في المجتمع الغربي مع أبنائه، فلا يعرف صلاة، ولاصياما، ولادينا.

وقد زارنا في الدروة أحد كبار الأساتذة في علم الصيدلة والأدوية في ألمانيا، وهو من أصل دمشقي، إلا أنه أخبرنا بأنه ماصلى ركعة قط طيلة حياته، ولا صام يوما قط ، ورجانا أن نعلمه الصلاة والصيام، وصام معنا يوم الإثنين لأول مرة في حياته، فما هو حال أولاده. .؟؟

ولو أردت أن أعدد الصور التي رأيتها بعيني من هذا القبيل لملأت العدد من الصحف بما يدمي الفؤاد.

ولقد كنت أرى من إقبال الطلاب وذهولهم حينما كنت أدرسهم متن أبي شجاع في الفقه مالا يمكن أن يصدقه العقل، إذ كان كل حرف فيه علم جديد بالنسبة لهم، ماسمعوا به طيلة حياتهم، مع أنه مما كان يدرس لطلاب الابتدائي في المدارس الإسلامية، في ظل دولة الإسلام.

وقد زاد هذا من اهتمامنا بالدورة، وبذلنا من أجل إنجاحها، وتحقيق أهدافها، وقد كانت الساعة الدراسية حسب البرنامج ستين دقيقة، إلا أنها في الواقع كانت تمتد لساعة ونصف أو لساعتين.

وإني آمل أن تتكرر هذه الدورة على مر الزمان، لنشر علوم الشريعة الإسلامية، من خلال مصادرها الأصلية، في زمن شحت فيه العلوم، وقل العلماء. ونشر تعاليم الشرع وعلومه هو عمل الأنبياء والرسل.

عملي في الدورة:

لقد أسند إلى تدريس مادة الفقة، فألقيت فيها ثلاثين محاضرة، خلال خمسة عشر يوما، تمكنت فيها من تدريس الكتاب كاملا ولله الحمد.

ولعدم تمكن الأستاذ المدعو من الخارج من الحضور، لتدريس مادة الحديث ومصطلحه ـ أسند الى بتطوع مني تدريس مادة مصطلح الحديث، فألقيت فيها ثلاثين محاضرة أيضا، وتمكنت من تدريس الكتاب المقرر كاملا.

فكان مجموع مادرسته في هذه الدورة ستين محاضرة، في كل يوم أربع محاضرات.

راجيا الله تعالى أن يحتسب ذلك لي أجرا وذخرا.

أثر كلية الشريعة في جامعة الكويت في هذه الدورة:

لقد رافقني إلى هذه الدورة، وبدعوة رسمية من المركز الدولي للعلوم الاسلامية:

الأستاذ محمد عبدالله عبدالرحيم، وهو طالب في كلية الشريعة بإجازة دراسية من وزارة التربية الكويتية، إذ كان مدرسا فيها.

وقد ألقى مشكورا ثلاثين محاضرة في النحو، أنجز فيها الكتاب المقرر في النحو.

والأستاذ أسعد سعود الزريج المتخرج من كلية الشريعة في جامعة الكويت، والموظف في وزارة العدل، والحائز على الإجازة بقراءة حفص عن عاصم، فقام بتدريس التجويد إلى جانب من أسهم في تدريسه.

ولذلك كان لكلية الشريعة اسم لامع في هذه الدورة، إذ قامت بتدريس معظم موادها.

وفقنا الله لخدمة دينه، وتبليغ رسالته، والحمد لله رب العالمين.

تعريف بالمركز

إن عدد المسلمين في أوروبا اليوم يقارب ٢٠ مليونا من المسلمين. منهم: العامل، والمهندس، والطبيب، والصيدلي، والكيميائي، والفيزيائي، واللاجيء السياسي، وأكثرهم مضطر للإقامة في ديار الغرب للظروف الاقتصادية والسياسية التي تعيش فيها البلاد الإسلامية، والاضطهاد الديني الذي يلاقيه المسلمون في ديارهم، مما لم يعد خافيا على أحد.

إلا أنهم رغم هذا العدد الجم الغفير، ورغم القدرات العلمية الفذة التي تحمل عبئاً كبيرا من التقدم العلمي الذي وصل إليه العالم الغربي ـ رغم هذا لايملكون مدرسة واحدة تعلم أبناءهم لغتهم ودينهم.

ولذلك فإنهم يعيشون في ظروف قاسية تفرض عليهم التغريب في اللغة والدين، والاجتماع، والفكر، وفي كل جانب من جوانب الحياة.

كما إنه لايوجد في الغرب من العلماء من يتمكن من إفتاء المسلمين في أمور دينهم، لاسيما فيما يستجد من المعاملات الكثيرة المعقدة، سوى مايكون من الفتاوى الفردية من العلماء الزائرين، وهي فتاوى متباينة تختلف باختلاف مناهج العلماء الزائرين ومذاهبهم.

من أجل هذا تداعى عدد من العلماء المفكرين في المانيا الاتحادية من أجل إنشاء مركز إسلامي جديد باسم (المركز الدولي للعلوم الإسلامية)، يحمل على عاتقه عبء التعليم والإرشاد في جانبي اللغة وعلوم الشرع، من تفسير، وحديث، وفقه، وأصول، وغير ذلك من علوم الشرع، من خلال دورات علمية مكثفة، تصرح فيها مناهج محددة تدرس في الفترة التي تكون فيها الدورة.

وسيتولى التدريس في هذه الدورات عدد من كبار العلماء الذين يوثق بعلمهم ودينهم، ممن أبدى استعداده الكامل للتعاون مع المركز في شتى بقاع العالم الإسلامي.

وسيكون هذا بمثابة (كلية شريعة) مصغرة، هدفها تخريج العالم المتكامل في جميع جوانب العلم والمعرفة، مما يمكنه من القيام باعباء الدعوة إلى الله على بصيرة من أمر دعوته ودينه.

وسيمنح الخريج شهادة رسمية مقرونة بالإجازة والسند المتصل إلى مؤلف الكتاب الذي درسه، بعد أن ينجح في الامتحان الجدي الذي سيجرى له في نهاية الدورة:

كما أن المركز مهتم بإنشاء لجنة للفتوى، تمثل جميع المذاهب الفقهية من كبار العلماء في العالم الإسلامي، تتولى إفتاء المسلمين في كل مايحتاجون إليه في جميع جوانب الحياة، من العبادات. والمعاملات، وغير ذلك.

نبذة موجزة عن دستور المركز وأهدافه

أولا ـ أهدافه :

١ ـ نشر الثقافة الإسلامية بين أبناء المسلمين عن طريق تدريسهم العلوم الشرعية من مصادر الأصلية التي درجت عليها الأمة الإسلامية خلال القرون الطويلة التي سادت بها العالم، عن طريق الدورات العلمية المكثفة.

٢ ـ نشر اللغة العربية ـ لغة القرآن ـ التي أصبحت غريبة حتى بين أبناء العرب في البلاد العربية.

٣ ـ متابعة كل مايتعلق بالإسلام من أبحاث، أو ندوات، أو مؤتمرات، ومن ثم يقوم بتنسيقها وترتيبها بحيث يسهل للباحثين إمكانية الوقوف عليها.

٤ ـ مراسلة من يمكن مراسلته من العلماء، والمفكرين، والناشرين ممن له عناية بالموضوعات العلمية الإسلامية للاستفادة من خبراتهم وآرائهم.

٥ ـ تقديم المشورة العلمية لطلاب الماجستير والدكتوراه في مجال اختيار مباحثهم، وطريقة العمل فيها، عن طريق لجنة من كبار أساتذة الجامعات، في شتى المجالات.

٦ ـ الاهتمام بجمع المعلومات عن التراث الإسلامي المخطوط.

٧ ـ عقد مؤتمرات، وندوات، ولقاءات للعلماء والمفكرين، للتداول فيما يحتاج لبحث ونظر من الأمور العلمية المهمة.

٨ ـ إنشاء لجنة للفتوى، لبحث ومناقشة كثير من القضايا الإسلامية، القديمة والحديثة، مما يحتاج لبحث ونظر.

٩ ـ يصدر المركز نشرة أو مجلة دورية ينشر فيها ما تجمع لديه من المعلومات، أو قام به من النشاطات.

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن
جامعة الكويت

رئيس التحرير
د. بدر جاسم اليعقوب

المقر: جامعة الكويت - الشويخ
هاتف: ٤٨١٦٨٠٧
٤٨١٦٧٩٩
٤٨١٦٨٢٤
٤٨١٤٢٩٥

* مجلة علمية فصلية محكمة تصدر ٤ مرات في السنة.
* تعنى بشئون منطقة الخليج والجزيرة العربية السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، والعلمية.
* صدر العدد الاول في يناير ١٩٧٥.
* تقوم المجلة باصدار ما يأتي:
  ا) مجموعة من المنشورات المتخصصة عن منطقة الخليج والجزيرة العربية.
  ب) مجموعة من الاصدارات الخاصة والمتعلقة بمنطقة الخليج والجزيرة العربية.
  جـ) سلسلة كتب وثائق الخليج والجزيرة العربية.
* عقد الندوات التي تهم المنطقة او المساهمة فيها واصدارها في كتب
* يغطي توزيعها ما يزيد على ٣٠ دولة في جميع انحاء العالم.
* الاشتراك السنوي بالمجلة.

ا) داخل الكويت: ٢ د.ك. للافراد ـ١٢ د.ك للمؤسسات.
ب) الدول العربية: ٢,٥٠٠ د.ك للافراد ١٢,٠ د.ك للمؤسسات
جـ) الدول الاجنبية: ١٥ دولاراً للافراد ٤٠ دولاراً للمؤسسات.

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير على العنوان الآتي:
ص.ب: ١٧٠٧٣ - الخالدية - الكويت - الرمز البريدي 72451